

مبحث

المقدمة

الأصدقاء السابقة على المقتل
الأصدقاء اللاحقة على المقتل

الشهداء في عين الإنسانية

الإنسانية بكلّ أطيافها مُجمعةٌ على معاملة الشّهِيد بإجلال واحترام خاصّين، فهو يُعامل معاملة الأحياء وفق معايير البشريّة، وسواء كانت هذه الحالة ظاهرة بيّنة أو كانت خفيّة مُضمرة فإنّ الدّراسات التّاريخيّة والفلسفيّة في عقائد الشّعوب قد أثبتتها بكلّ يُسر ووضوح، وفي كلّ حضارة أو حضارة بشريّة نمطٌ خاص من التعامل مع هذا الصنف - بالذات - من الرّاحلين، لكنّما يجمعها ملاك واحد، وهو إكبار الشّهِيد والشّعور الحقيقي بالامتنان والشّكر له.

ويعبر ذلك عن الأصداء الطبيعيّة المتوقّعة إزاء عطاءات الشّهداء، وكأنّه قد ابتدأت مع نهاية دقّات قلبه إنطلاقة الحياة الحقيقيّة له، وقد كان قد حرّكه إلى بذل نفسه الإيمان والهدف والغاية الإنسانية التّنبيلة السّامية عند جميع البشر.

فهو يتجاوز كلّ الصعاب والأخطار المحدقة به في طريق تحقيق ذلك القصد الشريف، حاملاً القيم والإختيار والوعي وقدسّيّة الهدف وبطولة العمل والإفتخار شعاراً ودثاراً، يفعل بدمائه المعاجز الممتنعة، بهدوء وتواضع، وهو شاخصٌ ببصره إلى الفضيلة والكرامة، ناظراً إلى أمّته وهمومها، مفرّغاً غاياته من أيّ ميلٍ ذاتي شخصي أو رغبة مؤقّتة محدودة ضيّقة الأفق.

فهو يستحق بعطائه الحياة والخلود والذكر عن جدارة، ومن محاسن البشريّة ومتّفقاتها تقييم سخاء الشّهِيد وتعظيم كرمه، فتترجم جميع الأمم تقديراً لها بالإكبار والتّبجيل، مهما اختلفت الملل والنحل أو ابتعدت الأقطار والدول.

ويقول الشّهِيد كلمته بدمائه فيجمع بين منطق العاشق لربّه المحب للقائه، وبين

المصلح الذي يتألم للإنسانية والمجتمع ويعيش هموم أمته لينهض بأعباء الذبّ عنها، فلو مزجنا نفسية العاشق الهائم في ذات الله تعالى بنفسية المصلح الذي يتفاني في أمته لأفصحت النفسيتان عن منطق الشهادة بمفهومها الأروع.

وليس من العجيب بعد ذلك أن تتفق البشرية التي طالما قد اختلفت في ملامح تكريمها له، فهو الراحل الوحيد الذي تتفق على التعامل معه تعاملها مع الأحياء، فهو مشرفٌ على عالمنا من خارجه، وراتع في معين الحياة الذي لا ينضب، في دار كريمة قابضٌ بزمامها المطلق.

وقد أكد الفكر الإسلامي حياة الشهيد وجزم الخطاب القرآني به، بل ونهى عن اعتبارهم أمواتاً، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، حتى صار ذلك سمةً له، كما أنه قد كان سمة للإنسان المتحضر، فليس ثمة أمة متحضرة إلا وكان في عمق ثقافتها تكريم الشهيد، كنوع من حفظ الحق والإعتراف بالجميل وتعظيم العطاء، والإنسان بكل أطيافه يتعامل مع مفردة الشهيد تعاملًا قدسيًا، ويراهم مزينة بإطار من نور.

وتعددت صور تكريمه وتنوعت، بين نشر الكلمات الدافئة، ونظم قصائد التأبين، وصياغة المؤلفات والمصنّفات، وعقد المنتديات والمحافل، والبكاء عليه، ووضع أكاليل الزهور على قبره، والوقوف على نُصْبٍ يرمز إليه، أو كلّها معاً.

وقد كان الإغريقون يصنعون لمحاربيهم وأبطالهم المقتولين في الحروب تماثيل في سُوح مُدُنهم وباحات عواصمهم، سعياً إلى تخليد ذكرهم وشحن النفوس لتكريمهم والتغني بأمجادهم الوطنية، وفي تاريخ اليونان وأساطيرها كثير من ذلك، وتاريخ روما مملوءٌ بالأساطير التي حيكت عن الأبطال والمحاربين لتؤكد مكانتهم،

ونلاحظ هذه السيرة حتى في الأمم المنكرة للبعث أصلاً!!
ويذهب الباحثون في التاريخ اليوناني إلى أن الآلهة اليونانية أصلها أبطال
محاربون، وقد تطوّر الأمر بعد تغني الأمة ببطولاتهم شيئاً فشيئاً، ثم نُسجت
حولهم الأساطير، وتدرّج الإكبار إلى الغلو، فكان أن عُدت تلك الشخصيات
المحترمة مع الأيام آلهة ترمز إلى القوة والعطاء^(١).

تكريم الراحلين في الإسلام

لقد تعرّض القرآن الكريم إلى موضوع تكريم أهل الفضل والعطاء بعد
رحيلهم بصورة مباشرة في موطن معروف، فقد نقل قصّة أصحاب الكهف نقلاً
تاريخياً مهماً، وأقرّ الوحي في سياق القصّة تكريم أبطالها ولم ينكر على
مكرمهم ذلك، بل الآيات دالة على تشريع ذلك وسنّه كخُلُق إنساني رفيع
وسيرة طيبة محبّبة.

لقد أراد المؤمنون الحقيقيون العارفون بالله تعالى تخليد قضية أهل الكهف
للتأكيد على المعاد الجسماني من جهة، وتكريم هؤلاء النفر الموحدين المؤمنين من
جهة أخرى، فاقترحوا أن يتخذوا على مكانهم مسجداً، ليتعبّد الناس بجوارهم
ويُتبرّك بآثارهم، وكان رأيهم الغالب، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بلهجة تُنمُّ
عن الموافقة، إذ أنّ بناء الأضرحة التي تخلّد الكبار أمرٌ شائع بين أمم العالم
وشعوبه، وهي سيرة معهودة عبر العصور.

(١) راجع التاريخ اليوناني للدكتور عبد اللطيف أحمد علي، ج ١ ص ١٨٢.

وفي قول الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾^(١) وفعل الغالبين من أهل المدينة تأكيد واضح على مبدأ تكريم واحترام العظماء والمؤمنين والشهداء، وذكر القرآن له تأديب منه على احترام العظماء، وكلّ فصول القصة تدلّ على نفس المطلب.

إنّ تكريم الرّاحلين من أهل الفضل من مكارم أخلاق الإنسانيّة، ولا غرابة إن أتمّها النبيّ الكريم ﷺ الذي لم يغادر مكرمة أخلاقية إلاّ وجمعها في نفسه الكبيرة، والتّاريخ زاخرٌ بذكر الحوادث التي آبن ﷺ فيها الرّاحلين وأسبل عليهم دموعه الغالية، وأصبح بكاءه بيان محاسن الفقيد غالباً، فهو الذي يُحزّنه فُقدان المحاسن بفقدان أصحابها.

وروي أنه لما مات عثمان بن مظعون، وهو صاحبه المحبوب الممدوح الخصال، كشف ﷺ الثوب عن وجهه، ثم قبل ما بين عينيه، ثم بكى طويلاً، فلما رفع السرير قال: طوباك يا عثمان، لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها^(١).

وفي مسكّن الفؤاد أنه لما جاء نعي زيد بن حارثة إلى النبي ﷺ أتى منزل زيد، فخرجت إليه بنية لزيد، فلما رأت رسول الله ﷺ خمشت في وجهها، فبكى رسول الله ﷺ. قال: هاه هاه.

فقيل: يا رسول الله، ما هذا!! قال: شوق الحبيب إلى حبيبه^(٢).

(١) راجع المستدرک (٢/٤٦٤)، والبحار (٧٩/٩١)، ومسكّن الفؤاد ص (١٠٥).

(٢) راجع مسكّن الفؤاد ص (١٠٦)، والبحار (١٦/٢٣٥)، ومستدرک الوسائل (٢/٤٦٤)، ومكارم الأخلاق ص (٢٢).

لقد عكس النبي ﷺ الإسلام كدين يواكب الإنسانية الصادقة، وصور التاريخ له أشجى الوقفات عند أهل الحقّ عليه، فقد وُلد يتيماً إلا أنّ الله عطف عليه الحواضن، وكانت سيّدتنا فاطمة بنت أسد عليها السلام من تلك الحجور الطاهرة التي نهضت حياله بفروض الخدمة إلى جانب زوجها المولى الكريم أبي طالب عليه السلام، فاستحقت أن تكون أمّاً له ﷺ، وقد سأل حبيب الله ﷺ ربه تعالى قائلاً: يا ربّ، أيّ عبادك أحبّ إليك؟ قال: الذي يبكي لفقد الصالحين كما يبكي الصبي لفقد أبويه^(١).

وروى الشيخ الصدوق في الأمالي بالإسناد إلى عبد الله بن عباس أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أقبل ذات يوم إلى النبي ﷺ باكياً وهو يسترجع، فقال له رسول الله ﷺ: مه يا علي!! فقال علي: يا رسول الله، ماتت أمي فاطمة بنت أسد. قال: فبكى النبي ﷺ ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها إن كانت لك أمّاً فقد كانت لي أمّاً، خذ عمّامتي هذه وخذ ثوبيّ هذين فكفّنها فيهما، ومر النساء فليحسنّ غسلها، ولا تخرجها حتى أجيء فألي أمرها. وأقبل النبي ﷺ فصلى عليها صلاة لم يصل مثلها على أحد قبلها، وكبر عليها أربعين تكبيرة، ثم دخل إلى القبر فتمدد فيه، ثم قال: يا علي، أدخل يا حسن أدخل، فدخل القبر، فلما فرغ مما احتاج إليه قال له: يا علي أخرج يا حسن أخرج، فخرجا. ثم زحف النبي ﷺ حتى صار عند رأسها فقال: يا فاطمة، أنا محمد سيد ولد آدم ولا فخر، فإن أتاك منكر ونكير فسألاك من ربّك فقولي الله ربي،

(١) راجع مستدرک الوسائل (٢/٤٦٩).

ومحمد نبيي، والإسلام ديني، والقرآن كتابي، وابني إمامي ووليي، ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت. وخرج من قبرها وحثا عليها حثيات، ثم ضرب بيده اليمنى على اليسرى ففضهما، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لقد سمعت فاطمة تصفيق يميني على شمالي.

فقال له عمار بن ياسر: فداك أبي وأمي يا رسول الله، لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة!! فقال: يا أبا اليقظان، لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير، ولقد كان خيرهم كثيراً وكان خيرنا قليلاً، فكانت تشبعني وتجيّعهم، وتكسوني وتعريهم، وتدهنني وتشعثهم. قال: فلم كبرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله؟ قال: نعم يا عمار، إلتفت عن يميني فنظرت إلى أربعين صفا من الملائكة فكبرت لكل صف تكبيرة.

قال: فتمدّدك في القبر؟ قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة، ولم أزل أطلب إلى ربي عز وجل أن يبعثها ستيرة، والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها، ومصباحين من نور عند يديها، ومصباحين من نور عند رجليها، وملكيها الموكلين بقبرها يستغفران لها إلى أن تقوم الساعة^(١).

(١) راجع بحار الأنوار (٧٠/٣٥) عن أمالي الصدوق، وقد أوردناه مختصراً.

وروى المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار (٢٤١/٦) عن فضائل ابن شاذان مضيفاً قوله ﷺ: والله لقد كان في دار أبي طالب نخلة فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط ثم تجنيه ﷺ، فإذا خرجوا - بنو عمي - تناولني ذلك.

إنّ هذه مقتطفات من تكريمه ﷺ لذوي الفضل أو الحق عليه ، ولا مناص من ضمّ الشهداء إلى قائمة المكرّمين في الإسلام ، بل ويُمكننا تقديمهم على المكرّمين ، وكانت لنبينا ﷺ وقفات عطفت بسيرة العرب تجاههم ، خصوصاً إذا واجهت سيرته حيال الشهداء المقرّبين من أهله كحمزة عمّه ﷺ وجعفر ابن عمّه ﷺ.

أما سيّدنا الشّهيد جعفر الطيّار ﷺ.. فقد روى البرقي في المحاسن : عن العباس بن موسى بن جعفر ﷺ أنّه قال : سألت أبي ﷺ عن المأتم ، فقال : إن رسول الله ﷺ لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر ، فقال : أين بنيّ ؟ فدعت بهم وهم ثلاثة ، عبد الله وعون ومحمد ، فمسح رسول الله ﷺ رؤوسهم ، فقالت : إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام ، فعجب رسول الله ﷺ من عقلها ، فقال : يا أسماء ألم تعلمي أن جعفرًا خيّلته عنه استشهد ، فبكت . فقال لها رسول الله ﷺ : لا تبكي ، فإن الله أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر .

فقالت : يا رسول الله ، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله ، فعجب رسول الله ﷺ من عقلها ، ثم قال : ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً

وفيه أيضاً : وأراد الناس الإنصراف ، جعل رسول الله ﷺ يقول لها : إنك إنك إنك ، لا جعفر ولا عقيل ، إنك إنك علي بن أبي طالب . فسئل ﷺ عن ذلك فقال : إنها لما نزل عليها الملك وسألها عن ربها ، فقالت : الله ربي ، وقالوا : من نبيك ؟ قالت : محمّد نبيي ، فقالوا : من وليك وإمامك ؟ فاستحيت أن تقول ولدي ، فقلت لها قلولي : ابنك علي بن أبي طالب ﷺ فأقر الله بذلك عينها .

فجرت السنة^(١).

وقد بكاه عليه السلام ورثاه وآبته، وكرّمه تكريماً يليق بآله الأبرار عليهم السلام وأمر أعزّ الناس بالبكاء عليه، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عليه السلام لفاطمة: إذهبي فابكي على ابن عمّك، فإن لم تدعي بثكل فما قلت فقد صدقت^(٢).

وأما حمزة عليه السلام فإنّ النبي صلى الله عليه وآله أظهر حزنه العميق عليه وودّه الكبير له، وأخرج أحمد في المسند وغيره: أنّه صلى الله عليه وآله لما رجع من أحد سمع نساء الأنصار يبكين على أزواجهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له، فبلغ ذلك نساء الأنصار فجئن يبكين على حمزة.. وسرعان ما انتشر كلامه صلى الله عليه وآله وتحققت رغبته بمواساته في عمّه، فهرعت النساء إلى بيته، فأصبح بكاء الشّهد من ذلك الحين عادة جارية، وكان الباكون هاى الشّهداء يقصدون بيت حمزة عليه السلام لبيكونه أولاً، إذ كان هو سيّد الشّهداء على الإطلاق وهو من يُندب مع كلّ شهيد في الإسلام.

وبقي الأمر كذلك حتّى جاءت مأساة عاشوراء بتداعياتها فأنسّت ما قبلها، فاحتل الإمام الحسين عليه السلام مركز الدّرورة، وانتقل له لقب سيّد الشّهداء، فإذا أُطلق اللقب عُني به الإمام عليه السلام وانصرف له من غير شكّ، وهو الرّمز الفرد الذي يُبكي عليه عند الحزن على أي شهيد أو قتيل.

وبكى رسول الله صلى الله عليه وآله ولده عليه السلام مرّات وكرّات، ونعاه ورثاه وكرّمه وبارك شهادته قبل أن يُقتل، ونهج الأئمة الطاهرون عليهم السلام هذا النهج وأظهروا غاية الحزن

(١) راجع بحار الأنوار (٥٥/٢١).

(٢) راجع بحار الأنوار (٥٧/٢١).

على مصابه عليه السلام، متأسين بجدّهم الكريم ﷺ في حزنه، ويتجلّى حزنُ جدّهم الإمام زين العابدين عليه السلام من بينهم، فقد روى المحدث الثوري في المستدرک مسنداً أنّه أشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا علي بن الحسين، أما أن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه، فقال: ويلك، أو ثكلتك أمّك، والله لقد شكّا يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حين قال: ﴿يا أسفى على يوسف﴾ وإنه فقد إبناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي، قال: وكان علي بن الحسين عليه السلام يميل إلى ولد عقيل، فقيل: ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام فأرق لهم^(١).

وروى العلامة المجلسي عن الإمام الصادق عليه السلام: أنّه عليه السلام بكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: ﴿إنما أشكوا بئي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة^(٢).

الحسين هو سيد الشهداء

"الشهيد" مفردة إسلامية ذات منشأ لغوي أصيل، وتنتمي إلى مجموعة خاصة من الإصطلاحات الإسلامية، ولا تقابلها بمؤداها الدقيق مفردة في لغة

(١) راجع مستدرک الوسائل (٢/٤٦٦).

(٢) راجع بحار الأنوار (٤٦/١٠٩).

أخرى، لأنها مُتحدّرة من ثقافة خاصّة لها مقاصد معيّنة، وقد نقلها الدّين من أصلها اللغوي إلى معنى خاص، فصارت حقيقة شرعيّة فيه.

واختار لسان الشّرع هذا الإسم بالذات لأنّ ملائكة الرحمة تشهده، فهو شهيد بمعنى مشهود.. وقيل: لأنّ الله وملائكته شهود له في الجنة. وقيل: لأنّه ممن استشهد يوم القيامة مع النبي ﷺ على الأمم الخالية. وقيل: لأنّه لم يمّت، فهو شاهد أي حاضر، أو لقيامه بشهادة الحق في الله حتى قُتل، أو لأنّه يشهد ما أعد الله له من الكرامة التي لا يشهداها غيره إلى يوم القيامة، فهو فعيل بمعنى فاعل. وإذا أجلنا بأبصارنا في النصوص الواردة فاحصين عن زوايا المفردة أسفر لنا نورٌ واحد، وتمخّض نظرنا عن أن هذه المفردة منبسطة على ثلاثة معاني.

١. القتل بالمعركة: يُصطلح الشّهاد على القتل في سبيل الله تعالى، وهو

معنى متداول معروف، ورّب الفقهاء عليه أحكاماً خاصة دون غيره بالإجماع. قال المحقق الحلبي رحمه الله في شرائع الإسلام: والشهيد الذي قتل بين يدي الإمام، ومات في المعركة، لا يُغسّل ولا يُكفّن، ويُصلّى عليه. وقال: الشهيد يدفن بثيابه، وينزع عنه الفرو والخفّان، أصابهما الدم أو لم يصبهما على الأظهر، ولا فرق بين أن يقتل بحديد أو بغيره.

فلو مات مؤمن في طريق الشهادة مثلاً، أو جرح في ساحة المعركة ثم نقل إلى خارجها فمات، أو مات خارج المعركة، أو مات في المعركة حتفاً ولم يُقتل، فليس بشهيد على الإصطلاح، والواجب المتعيّن هو تغسيله وتكفينه.

٢. الشّهاد المقامي: هو في مقام الشّهاد، إذ نزله الدين منزلته، وقامت نيّته

بالجهاد والقتل مقام العمل ، وقام عمله الصّالح مقام القتل في سبيل الله تعالى ، إلا أنّ أحكام الشّهيد المتقدّمة لا تشملها ، وتمثّل مصاديقه على صعيدين عام وخاص .

أمّا العام فهو متعلّق بالنوايا الحسنة والتوجّه القلبي الصّادق ، فقد روي في بشارة المصطفى بالإسناد إلى عطية العوفي خبر جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه الذي يزور الإمام الحسين عليه السلام فيه في يوم الأربعاء ، ثم يقول : " والذي بعث محمّداً بالحق ، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه " .

قال عطية : فقلت لجابر : وكيف ولم نهبط وادياً ، ولم نعلّ جبلاً ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأوتمت أولادهم وأرملت الأزواج ! فقال لي : يا عطية " سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من أحبّ قوماً حُشر معهم ، ومن أحبّ عمل قوم أُشرك في عملهم ، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً ، إنّ نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه " ^(١) .

فهو رضي الله عنه يرى نفسه شريكاً للشهداء الذين قتلوا بين يدي الإمام عليه السلام ، ويتسّم هذا المقام بنيتة الصادقة التي حلّت محلّ العمل ، خصوصاً وقد قصدهم بالزيارة وكابد عناء السفر إليهم ، وهذا عنوان مُستقل يؤهّله لبلوغ هذه المرتبة السّامية ، وجاء في الوسائل عن الإمام الصّادق عليه السلام : من بات عند قبر الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لقي الله ملطّخاً بدمه كأنما قتل معه في عرصة كربلاء ^(٢) .

(١) راجع بحار الأنوار (٩٥/٩٨) عن بشارة المصطفى .

(٢) راجع وسائل الشيعة (٤٧٧/١٤) .

وأما الخاص فقد أفصحت النصوص عن مصاديق مختلفة للشهيد تحت عدة عناوين ، ومنهم المقتولون ومنهم الميتون^(١).

(١) أمّا المقتولون فمن قبيل ما روي في الكافي الشريف (٥٢/٥) بالإسناد إلى أبي مريم عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: من قُتل دون مظلّمته فهو شهيد، ثم قال: يا أبا مريم، هل تدري ما دون مظلّمته؟ قلتُ: جعلتُ فداك، الرجل يُقتل دون أهله ودون ماله وأشبه ذلك، فقال: يا أبا مريم، إنّ من الفقه عرفان الحق. وروي في الكافي (٥٢/٥): عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: من اعتُدي عليه في صدقة ماله فقاتل فقتل فهو شهيد.. وفي تهذيب الأحكام (١٥٧/٦): عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال: من قُتل دون عياله فهو شهيد.

وأما الميتون فمن قبيل ما روي في بحار الأنوار (١٤٠/٦٥) عن تأويل الآيات الظاهرة: مرفوعاً إلى مولانا علي بن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قال: المؤمن على أي حال مات وفي أي ساعة قبض فهو شهيد، ولقد سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: إن المؤمن إذا خرج من الدنيا وعليه مثل ذنوب أهل الأرض لكان الموت كفارة لتلك الذنوب. وما روي في بحار الأنوار (١٤٥/٥٢) عن أمالي الطوسي بالإسناد إلى الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: كل مؤمن شهيد، وإن مات على فراشه فهو شهيد، وهو كمن مات في عسكر القائم عليه السلام، ثم قال: أ يجبس نفسه على الله ثم لا يدخل الجنة.

وما في بحار الأنوار بحار الأنوار (٢١١/٧٨) عن أمالي الطوسي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: المريض في سجن الله ما لم يشكُ إلى عواده تمحى سيئاته، وأيما مؤمن مات مريضاً مات شهيداً، وكل مؤمن شهيد، وكل مؤمنة حوراء، وأي مئة مات بها المؤمن فهو شهيد، وتلا قول الله جل ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾. وروي في بحار الأنوار (١٦٨/٧٨) عن دعائم الإسلام عنهم عليه السلام: من كانت به قروح أو علة يخاف منها على نفسه يتيمم، وكذلك إن خاف أن يقتله البرد إن اغتسل يتيمم، وإن لم يخف اغتسل، فإن مات فهو شهيد.

٣. الشهيد الحجّة: وهو إمام الشهداء المقدم على أصنافهم، ومعنى شهادته يفوق المعاني التي سقناها للشهيد، بل هو الملاك في تحقّق الشهادة أصلاً، فهو إمام الخلق الذي يقودهم إلى الحق والهدى، ومن يأتي به الله تعالى يوم القيامة شهيداً على أمته، فالأنبياء عليهم السلام شهداء على أمهم، والأئمة عليهم السلام شهداء على الأمم، ونبينا الأعظم ﷺ شاهد على الأمم والأنبياء والأئمة عليهم السلام، قال تبارك وتعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. ورؤي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية أنه قال: نزلت في أمة محمد ﷺ خاصة، في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد ﷺ شاهد علينا^(١).

وفيه: عن بريد العجلي يسأل الإمام الباقر عليه السلام عن الآية، فقال عليه السلام: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه وحججه في أرضه. قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾.

قال: إيانا عنى، ونحن المجتوبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى في الدين من حرج، فالحرج أشد من الضيق، ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ إيانا عنى خاصة، ﴿وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الله سمّانا المسلمين من قبل في الكتب التي مضت وفي هذا القرآن، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن الشهداء على الناس،

(١) راجع بحار الأنوار (٢٨٣/٧) عن الكافي.

فمن صدق يوم القيامة صدقناه، ومن كذب كذبناه^(١).

وهو عليه السلام الحجّة الشّهيد على أعمال الناس بنصّ الكتاب، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ومن ذلك يُعلم معنى الحديث الوارد في خصوص مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام من كونها صديقة شهيدة، فإنّها عليها السلام شهيدة وإن لم تُقتل في المعركة، فضلاً عن قصر حمل السلاح على الرجال دون النساء، إلا أنّ المراد منزلة فوق الشهادة المصطلحة، فهي حجّة شاهدة على الخلق في الدنيا والآخرة.

فأثمنا عليها السلام كذلك شهداء وإن لم يُقتلوا في سوح المعارك ولا تعدل منزلتهم منزلة مهما علت، ولا يسبقهم بالفضل سابق ولا يلحقهم لاحق، وميتهم شهيداً، وشهيدهم سيّد الشهداء، فما يُصطلح على شهيدهم القتل في سبيل الله؟ والمفردات اللغوية على سعتها لا تسعف لضّم حقيقة مقامه السامي قطعاً!!

فأين معنى شهادة الإمام الحسين عليه السلام من شهادة غيره!! ولقد صرّح المصطفى عليه السلام في الرؤيا الحق التي رآها الإمام الحسين عليه السلام عند ضريحه بعالي الدرجات التي لن يبلغها إلا بالشهادة، إذ أنّ حكمة الله تعالى اقتضت أن يكرّم بالشهادة المصطلحة على كونه شهيداً حجّة، فيبلغ أعلى درجات هذه الشهادة الخاصة.

أمّا إذا أردنا أن نعقد المقارنة بين سيدنا حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ومولانا الإمام الحسين بن علي عليه السلام وهما فارسا حلبة الشهادة المتقدّمان.. فإنّ النصوص المتأخّرة أغنتنا عن تجشّم عناء الإستدلال بالقرائن واللوازم.

(١) راجع أصول الكافي (١/١٩١).

فحمزة الشهيد في غزوة أُحُد من المؤيّنين في القرآن الكريم تأييداً خاصاً، وفيه نزلت: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾، وقد حاز لقب سيّد الشهداء عن جدارة واستحقاق، ولا يزال قبره في مقدمة مزارات الشهداء في المدينة المنورة.

وقد أمر النبي ﷺ بالبكاء عليه حتّى صار ذلك سنة، بعد أن عزّ عليه سماع تصاعد أصوات النساء على الشهداء دون رنة تنعى سيّد الشهداء ﷺ فقال ما تقدّم، وانتشر كلامه ﷺ وتحققت رغبته بمواساته بتكريم عمّه، فهرعت النساء إلى بيت عمّه، وأصبح بكاء الشهيد منذ ذلك الحين عادة جارية، وكان كل من يريد أن يبكي شهيداً يقصد بيت حمزة ﷺ ليبكيه أولاً.

فتفرّد بهذا الوسام حتّى جاءت فاجعة الطّف بأهاتها فاحتل الإمام الحسين ﷺ مركز السيادة، وكان تفوّقه واضح المعالم، فعطاؤه يأبى القياس بعطاء الشهداء في تاريخ الدنيا، فانتقل له لقب سيّد الشهداء تلقائياً وانصرف له بما يضمّ من سائر الخصوصيات الأخرى.

مع امتياز حمزة ﷺ بالفضائل الخاصّة، فهو المحامي عن النبي ﷺ بما أوتي من هبة وقوّة، وهو سيّد المقدمين في مجال التضحية والفداء بين يدي النبي ﷺ، وهو عمّ النبي ﷺ القريب من نفسه، وأخوه من الرضاع، وقد نزل الذكر في تشييد إيمانه، فقد روي عن الإمام الباقر ﷺ في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ ديارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أنّها نزلت في رسول الله

عليه السلام وعلي وحمة وجعفر، وجرت في الحسين عليه السلام^(١).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ قال: ذاك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمّار، هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام^(٢).

وحاز أزكى الأوسمة على لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وذكره يوم فتح البصرة لما ركب بغلة رسول الله ﷺ وقال: أيها الناس، ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله!! حتى قال: إنّ أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب^(٣).

وروي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضباً للنبي ﷺ في حديث السلي الذي ألقى على النبي ﷺ^(٤).

(١) راجع الكافي (٣٣٧/٨).

(٢) راجع الكافي (٤٢٦/١).

(٣) راجع الكافي (٤٥٠/١).

(٤) راجع الكافي (٣٠٨/٢)، وبحار الأنوار (٢٨٣/٢٢).

وقد روي حديث السلي في الكافي (٤٤٩/١) وعنه بحار الأنوار (٢٣٩/١٨)، بالإسناد إلى الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: بينا النبي ﷺ في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلى ناقة، فملاوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله، فذهب إلى أبي طالب، فقال له: يا عم، كيف ترى حسبي فيكم؟

فقال له: وما ذلك يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف، وقال لحمزة: خذ السلى، ثم توجه إلى القوم، والنبي ﷺ معه، فأتى قريشاً وهم حول الكعبة،

وكان قد هوى خبر مصرعه على قلب النبي ﷺ هُويَّ الصاعقة ، وقد وقف عليه ورآه وقد مُثل به ، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ النبي ﷺ صلّى عليه وكفّنه لأنّه قد جُرّد ، ويظهر من بعض الأخبار أنّه أوّل شهيد صلّى عليه ، ثمّ فرضت صلاة الأموات على أموات المسلمين.

وفي الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : دفن رسول الله ﷺ عمه حمزة في ثيابه بدمائه التي أصيب فيها ، وردّاه النبي ﷺ بردائه فقصر عن رجله ، فدعا له بإذخر فطرحة عليه ، فصلّى عليه سبعين صلاة ، وكبر عليه سبعين تكبيرة^(١).

وروي في كشف المحجّة عن الرسائل للكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه : قد كان رسول الله ﷺ عهد إليّ عهداً فقال : يا ابن أبي طالب لك ولاء أمّتي ، فإنّ لوك في عافية وأجمعوا عليك بالرّضا فقم بأمرهم ، وإنّ اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه ، فإنّ الله سيجعل لك مخرجاً ، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا معي مساعد إلاّ أهل بيتي ، فضننتُ بهم عن الهلاك ، ولو كان لي بعد رسول الله ﷺ عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع مكرهاً^(٢).

وسيطهر الله تعالى كرامته عليه يوم القيامة ، ونصّ خبرٌ على مقام الشفاعة المختصّ بحبّيه ، وجاء في تفسير الإمام العسكري عليه السلام أنّه قال رسول الله ﷺ : إنه ليرى يوم القيامة إلى جانب الصراط عالم كثير من الناس لا يعرف عددهم إلاّ

فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه ، ثم قال لحمزة أمير السلى على سبالمهم ، ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم ، ثم التفت أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال : يا ابن أخي ، هذا حسبك فينا.

(١) راجع الكافي (٢١١/٣) وبحار الأنوار (٢٨١/٢٢).

(٢) راجع مستدرک الوسائل (٧/١١).

الله تعالى ، هم كانوا محبي حمزة ، وكثير منهم أصحاب الذنوب والآثام ، فتحول حيطان بينهم وبين سلوك الصراط والعبور إلى الجنة ، فيقولون : يا حمزة قد ترى ما نحن فيه !! فيقول حمزة لرسول الله ﷺ ولعلي بن أبي طالب عليه السلام :
قد تريان أوليائي يستغيثون بي !!

فيقول محمد رسول الله ﷺ لعلي ولي الله عليه السلام : يا علي ، أعن عمك على إغاثة أوليائه واستنقاذهم من النار ، فيأتي علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الرمح الذي كان يقاتل به حمزة أعداء الله في الدنيا فيناوله إياه ، ويقول : يا عم رسول الله ويا عم أخي رسول الله ، ذد الجحيم بالرمي عن أوليائك برمحك هذا كما كنت تذود به عن أولياء الله في الدنيا أعداء الله .

فيناول حمزة الرمح بيده ، فيضع زجه في حيطان النار الحائلة بين أوليائه وبين العبور إلى الجنة على الصراط ، ويدفعها دفعة فينحيتها مسيرة خمسمائة عام ، ثم يقول لأوليائه والمحبين الذين كانوا له في الدنيا : أعبروا . فيعبرون على الصراط آمنين سالمين ، قد انزاحت عنهم النيران وبعدت عنهم الأهوال ، ويردون الجنة غانمين ظافرين^(١) .

وطبيعي أن يثير مصرعه حزن النبي ﷺ ويطلق أمره بالبكاء عليه ويقرّ ندبته بعد كلّ ذلك ، ليبقى يومه خالداً مهما تجددت الأيام .. وفي مسكن الفؤاد : لما انصرف النبي ﷺ من أحد إلى المدينة لقيته جهينة بنت جحش فنعى لها الناس أخاها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت ، ثم نعى لها خالها فاسترجعت

(١) راجع بحار الأنوار (٦٨/٨) عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام .

واستغفرت ، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وتأوهت ، فقال رسول الله ﷺ : إن زوج المرأة منها لمكان ، لما رأى صبرها عن أخيها وخالها وصياحها على زوجها.

ثم مرّ رسول الله ﷺ على دار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عيناه وبكى . ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له !! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج إليهن وهن على باب مسجده يبكين فقال لهن رسول الله ﷺ : إرجعن يرحمك الله ، قد واسيتن بأنفسكن^(١) .

ليتضح أنّ البكاء على الشهداء من أهل بيته ﷺ من أجلى صور السلوة والعزاء له ، وبلغ الحال أنّه اعتبر بكاء النساء على عمّه مواساة منهنّ له بالنفس !! وقد جدّد أهل البيت ﷺ هذا الإرث المّحزن ، واتخذوا مصابه شعاراً لأحزانهم لفترة طويلة جداً ، وظلّ ذكره حاضراً في مجالسهم ، ولم تخلُ قصائد الرثاة من ذكره إلا نادراً.

ولهذا وذاك سنّ النبي ﷺ زيارة قبره الشريف تعظيماً له وتخليداً لذكره ، وندب إلى زيارته ، فقال ﷺ : من زارني ولم يزر عمّي حمزة فقد جفاني^(٢) .

(١) راجع مسكن الفؤاد ص (١٠٨) ، وعنه بحار الأنوار (٩٢/٧٩).

(٢) راجع مستدرک الوسائل (١٠/١٩٨) . وروي في بحار الأنوار (٣٧٩/٩٦) : عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال : ومن المشاهد بالمدينة التي ينبغي أن يُؤتى إليها وتُشاهد ويُصلّى فيها ويُتعاهد مسجد قباء ، وهو المسجد الذي أسس على التقوى ، ومسجد الفتح ، ومشربة أم

وترقت النصوص إلى تقديس تربته الشريفة، خصوصاً وإنه قد تقرّبت أم الحجج الطاهرين عليهما السلام إلى الله تعالى بها، ففي رواية أن الزهراء عليها السلام كانت تسبح الله سبحانه بسبحة صنعتها من تربته الشريفة، ليكون التسبيح مشفوعاً بمعنى العطاء في سبيله، وقد تركّز هذا المفهوم الرّاقى في ذهنية المؤمنين، حتى إذا عرفوا أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو سيّد الشهداء عدلوا إلى تربته المطهّرة، بتوجيه من الحجج الطاهرين عليهم وتأسيس من سيّدة نساء العالمين عليها السلام.

ففي مكارم الأخلاق والمزار الكبير، عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: أنّ فاطمة عليها السلام كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، فكانت تديرها بيدها تكبير وتسبح، إلى أن قتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه سيد الشهداء فاستعملت تربته، وعملت التساييح فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالأمر إليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية^(١). وفي رواية أنّه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن استعمال الترتين من طين قبر حمزة والحسين والتفاضل بينهما، فقال عليه السلام: السبحة التي من قبر الحسين عليه السلام تسبح بيد الرجل من غير أن يسبح^(٢).

→ إبراهيم، وقبر حمزة، وقبور الشهداء.

وروي في بحار الأنوار (١٦٩/٧٩): عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام: كانت فاطمة عليها السلام تزور قبر حمزة، وتقوم عليه، وكانت في كل سنة تأتي قبور الشهداء مع نسوة معها فيدعون ويستغفرون (هكذا الرواية).

(١) بحار الأنوار (٣٣٣/٨٢).

(٢) بحار الأنوار (٣٣٣/٨٢).

وروي أن الحور العين إذا أبصرن بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض لأمر ما يستهدين منه السبح والتراب من طين قبر الحسين عليه السلام ^(١).

وروي أنه من سبح بسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام تسيحة كتب الله له أربعمئة حسنة ومحى عنه أربعمئة سيئة، وقضيت له أربعمئة حاجة، ورفع له أربعمئة درجة، ثم قال: وتكون السبحة بخيوط زرق أربعاً وثلاثين خرزة، وهي سبحة مولاتنا فاطمة الزهراء، لما قتل حمزة عليه السلام عملت من طين قبره سبحة تسبح بها بعد كل صلاة ^(٢).

وهذه خصوصية لآل محمد عليهم السلام قد أكدها أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب إلى معاوية فيه: إن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء! وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه!! أ ولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله؟ ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين!! ^(٣).

ولا يتردد عالم من بعد ذلك في تقديم الإمام الحسين عليه السلام وتفضيله على عمه حمزة عليه السلام، فهو إمام عمه وحجة الله عليه، ودائرة فضل حمزة عليه السلام لا تشمل أي واحد من الحجج الطاهرين عليهم السلام قطعاً..

وروي في إكمال الدين عن سلمان قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة: شهيدنا

(١) بحار الأنوار (١٢/٣٣٣).

(٢) بحار الأنوار (١٢/٣٤١).

(٣) راجع الكتاب رقم (٢٨) من نهج البلاغة.

سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب ، وهو عم أبيك .

قالت : يا رسول الله ، وهو سيّد الشهداء الذين قتلوا معك ؟

قال : لا ، بل سيد شهداء الأولين والآخرين ، ما خلا الأنبياء والأوصياء ،

وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين الطيار في الجنة مع الملائكة^(١) .

فإذا كان لا يفضل الأنبياء والأوصياء ، فكيف يفضل وصيّ خير الأنبياء !

وخامس أصحاب الكساء ! المقتول شهيداً مظلوماً ! المذبوح صبراً عطشاناً غريباً !

المستشهد عشيرته وأصحابه في يوم واحد ! المساق أهله سبايا من بعده ! الإمام

الحجّة على جميع الشهداء والصديقين .

لقد استشهد حمزة عليّ السلام بين يدي إمام حجة هو النبي ﷺ ، فهو يفضل

أقرانه من سائر الشهداء ، إلا أنّ شهادته لا توازي شهادة إمامه قطعاً ، فالإمام

الحسين عليّ السلام هو الشهيد الحجّة في الدنيا والآخرة ، ولا يمكن قياس أحد عليه ،

ويمكننا الترقّي إلى القول أنّه أحد أسرار عظمة عمّه حمزة عليّ السلام ! !

والمؤكّد أنّ النبي ﷺ لقّنه إمامة مولانا الحسين وأبيه عليّ السلام ليلة شهادته لتتم

له بمعرفتها أرفع الدرجات ، ويُفهم من فعله ﷺ أنّ من كان في مقام عمّه عليّ السلام

فهو مكلف بمعرفة حجج ربّه في زمانه وفي غير زمانه ، فهم أئمّته وإن لم يدركهم ،

كما في آدم عليّ السلام وإبراهيم عليّ السلام الذين علّما أسماءهم الشريفة .

فقد روي في كتاب الطرّف للسيد ابن طاوس رحمته الله نقلاً من كتاب الوصية ،

عن الإمام موسى بن جعفر عليّ السلام عن أبيه عليّ السلام قال : لما هاجر النبي ﷺ إلى

المدينة وحضر خروجه إلى بدر دعا الناس إلى البيعة فبايع كلهم على السمع

(١) بحار الأنوار (٢٢/٢٨٠) .

والطاعة وكان رسول الله ﷺ إذا خلا دعا علياً فأخبره من يفي منهم ومن لا يفي ويسأله كتمان ذلك، ثم دعا رسول الله ﷺ علياً وحمزة وفاطمة عليهما فقال لهم: بايعوني بيعة الرضا!

فقال حمزة: بأبي أنت وأمي، علي ما نبايع؟ أليس قد بايعنا!!

فقال: يا أسد الله وأسد رسوله، تباع لله ولرسوله بالوفاء والاستقامة لابن أخيك، إذن تستكمل الإيمان. قال: نعم، سمعاً وطاعة.

وبسط يده، فقال لهم: يد الله فوق أيديكم، علي أمير المؤمنين عليهما السلام وحمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار في الجنة، وفاطمة سيدة نساء العالمين، والسبطان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، هذا شرط من الله على جميع المسلمين من الجن والإنس أجمعين ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾.

قال: ولما كانت الليلة التي أصيب حمزة في يومها دعا به رسول الله ﷺ فقال: يا حمزة، يا عم رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟ فبكي حمزة، وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهمني؟.

فقال: يا حمزة، تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، وإنني رسول الله تعالى بالحق. قال حمزة: شهدت. قال: وأن الجنة حق، وأن النار حق، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ وأن الصراط حق، والميزان حق ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، ﴿وَفَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ وأن

علياً أمير المؤمنين. قال حمزة: شهدت وأقررت وآمنت وصدقت.
وقال: الأئمة من ذريته، الحسن والحسين وفي ذريته. قال حمزة: آمنت
وصدقت. وقال: فاطمة سيدة نساء العالمين. قال: نعم، صدقت.
وقال: حمزة سيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله وعم نبيه. فبكى حمزة
حتى سقط على وجهه، وجعل يقبل عيني رسول الله ﷺ. وقال: جعفر ابن
أخيك طيار في الجنة مع الملائكة، وإن محمدا وآله خير البرية، تؤمن يا حمزة
بسرهم وعلايتهم، وظاهرهم وباطنهم، وتحيا على ذلك وتموت، توالي من
والاهم، وتعادي من عاداهم. قال: نعم يا رسول الله، أشهد الله، وأشهدك
﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ فقال رسول الله ﷺ: سددك الله ووفقك^(١).
وعليه فإن الإمام الحسين عليه السلام يترجع على عرش الشهادة من غير شريك،
وهو سيد شهداء الإسلام والإنسانية في الدنيا والآخرة، ومن هذا المنطلق فإن
النبي ﷺ قد أبرز فضله في الآخرة ليكون كاشفاً عن مقامه في الدنيا حيث قال:
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة^(٢).

(١) راجع بحار الأنوار (٢٢/٢٧٨).

(٢) وهذا الحديث متواتر جداً، وقد روي بطرق عدة، وقد أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال
(١٢/١١٥ ح ٣٤٢٥٩)، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين
(٣/١٦٧) وقال: صحيح، بزيادة: وأبوهما خير منهما، وأخرجه البغوي في مصابيح السنة
النبوية في كتاب المناقب (٤/١٩٣ ح ٤٨٢٧)، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/٦٢)،
وأخرجه الترمذي في السنن (٥/٦٥٦ ح ٣٧٢٨) في مناقب الحسن عليه السلام وقال: حسن
صحيح، وأخرجه المزي في تحفة الأشراف (٣/٣٩٠ ح ٤١٣٤)، وأخرجه الهيثمي في موارد
الضمآن ص (٥١١) باب ما جاء في الحسن عليه السلام ح (٢٢٢٨)، وأخرجه ابن عساكر في ترجمة

لقد اجتازت أشعة مقامه وفضله حيّز الزّمان والمكان حتى أعشت عيون العالمين، وتمكّنت من قلوب ملايين الحسينيين الذين لا يعرفون غيره سيّداً للشهداء، وقد دعتهم معرفتهم به إلى الحزن العميق على مصرعه، مضافاً إلى الدّواعي التي سوف نستعرضها بعد حين !!

داعي خلود الحزن الحسيني

امتزج شعار الحزن بدماء الشيعة وتمكّن من قلوبهم، فالأرزاء متجدّدة في كلّ مناسبة بصورة راتبة بشوق وتلهّف، حتّى أسفرت عن ظاهرة تثير السؤال والعجب.. من هو الإمام الحسين عليه السلام؟ ولماذا قُتل؟ وما هو سرّ خلود هذه القضية؟ الأمر في هذه القضية يدعو للدهشة.. فغالباً ما تشيّد القضايا الإنسانيّة وتستمر بالجهود المضنية، ومع هذا فإنّه لم تصمد أيّ منها أمام معاول الزمن ودواهي النسيان والتحريف والشُّبه، إلاّ أنّ قضيتنا تختلف عن سائر القضايا جملةً وتفصيلاً، ولا تُفهم بالقياس مع غيرها، فهي يتيمةٌ ولا يوازيها عظمة إلاّ قضية الإسلام، وقد أشار نبيّنا الأكرم عليه السلام إلى هذا التوازي قائلاً: حسينٌ مني وأنا من حسين^(١).

→ الإمام الحسين عليه السلام من تأريخ دمشق ص (٤١ - ٤٢ ح ٦٢ و ٦٣ و ٦٤) بطرق عدّة، وتجدّه في كشف الغمّة للأربلي (١٧٧/٢).

(١) وهذا حديث مشهور متواتر نقلته جميع كتب الفضائل والمناقب، وذكر في صحاح المسلمين، وأخرجه - على سبيل المثال - الإمام أحمد في مسنده تحت الرقم (١٧٢٣١) والترمذي في سننه (٣٠٥/١٠) ح (٣٩٧٣) وابن ماجّة في سننه (٥١/١) ح (١٤٧)، وقد تناول آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء شرحه بما لا مزيد عليه في كتابه القيم جنة المأوى، وذكر الوجوه المتصوّرة في تقرّبه، فليراجع.

وبالتالي فإنها القضية التي اكتسبت سرّ خلودها من نفسها وكان وقودها من ذاتها، ولم تؤثر مظاهر الحزن المشهودة على إذكاء حرارتها بقدر ما شكّلت الأثر الطبيعي والإنعكاس الذاتي لهذه القضية الفريدة، وقد تكفلت المأساة بنفسها بالتأثير على المشاعر إلى حدّ البكاء، حتى بلغ التأثير بها حدّ الجزع!

فالإنسان طبعاً ميّال لاستشعار ألم أخيه مهما تغاير الإنتماء والمعتقد، وقد تضمّنت رزايا الطّف عناصر الإثارة الكافية للحزن بشكل مسلّم، وبديهيّ قولنا أن باعث الحزن الأوّل هو استجابة الإنسان بطبعه لأصدقاء الظلامه وتفاعل الأحرار مع صدق القضية وأحقّيتها، يدعمه الوازع الذاتي الممزوج بكينونة الإنسان الميّال بطبعه للفضيلة متجرّداً عن كلّ الإنتماءات.

أما في دائرة الإنتماء فإنّ الودّ هو الباعث الكبير للحزن الحسيني، وتشتدّ وتضعف خلة الحبّ بحسب الأسباب، وتقوى المحبّة باشتداد العلائق الدمويّة تجاه الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال، وتقوى باشتداد العلائق المعنويّة بالعقائد والنظريّات المفضّلة، وحُبّ المعنويّات يتفوّق على حبّ الماديّات في النفوس الرّاقية من غير شك.

ويترّبع على عرش المعنويّات حُبّ العقيدة، ويرقى حُبّ الدّين على حبّ الأبوين قطعاً، فالؤمن يفدي دينه بهما، وتحتلّ الرّموز الدينيّة هذه المكانة، وتشدّ النفوس إلى حُبّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام بحيث يخرجها أحياناً عن الجادة المستقيمة، ويقدمهم الناس على كلّ نفيس حتّى أنفسهم الغالية.. وطبيعيّ أن تتعلّق النفوس الطيّبة بشغفٍ بنبيّنا الكريم ﷺ إلى أن يرقى حبه على حبّ الماديّات والمعنويّات.

إنّ الإحسان هو مغناطيس النفوس الحرّة، وقد فاق إحسان نبيّنا ﷺ إحسان

المحسنين فطوّق أجياد الخلق وأغرقهم وغمرهم بمعرفه.. حتى تربّع على عروش القلوب فاحتضنته بالحبّ والمودّة، وقد تعزّز ذلك بواعز الإيمان والقرب الربّاني، فمن أحبّه تعالى شايع نبيّه ﷺ كما قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وإنّ وراء هذه العلقّة الوثيقة بنبيّنا ﷺ سرّ ظاهر، وهو علقته الوثيقة برّبّه الكريم، فالمؤمنون يحبّونه تقديراً لعلقته الفريدة مع الله تعالى.. وإن من دواعي الحبّ الكبير له ﷺ حيازته الفضائل التي جمّت عن أن تُستقصى أو تُحصّر، ويكفي في شأنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

وقال البوصيري:

فاق النَّبِيِّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
أَكْرَمَ بِخَلْقِ نَبِيِّ زَانَهُ خُلُقٌ بالحُسْنِ مُشْتَمَلٌ بِالْبَشْرِ مُتَّسِمٌ
والدّواعي التي تقود لُحْبَهُ ومودّته كثيرة، وهي تُؤكّد حبّ كلّ ما يمتّ له بصلة، كالتعاليم والآثار، ويتفاوت المسلمون في حبّهم له ﷺ بحسب إيمانهم، وقد قال الإمام القرطبي: كلّ من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنّهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الفضلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ إشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبدل

نفسه في الأمور الخطيرة ويجد مخبر ذلك من نفسه وجداناً لا تردّد فيه^(١).

وأجمع المسلمون على أنّ من حبّه ﷺ حبّ أهل بيته عليه السلام، وهم أولاده وعترته الطيّبون الذين أحبهم كثيراً، وجاهر بحبهم ودعى إليه، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، فوجب التدين بحبهم وودّهم والتحلي بمظاهر حبهم من اتباعهم والتأسي بهم، خصوصاً وقد اتفقت الكلمة على نزاهتهم وعلو مقامهم.

ومن هذا المنطلق فإنّه وجب الفرح لفرحهم والحزن لحزنهم، ولما ثبت أنّ التاريخ قد أكدّ أحزان أهل البيت عليه السلام الشديدة على مأساة كربلاء، تأكّد الحزن لحزنهم، فالتاريخ البشري لم ينقل تأثيراً يوازي تأثير العترة النبوية أبداً، حتى صارت مأساة الطّف هي المحور الذي تدور عليه جملة قضاياهم وعدّوها شعار مظلوميّتهم.

وقد افترض الجليل في كتابه مودّة الآل عليه السلام أجراً على النبوة فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. وقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

فطلب النبي ﷺ مودّة أهله أجراً لرسالته بأمر الله سبحانه، لما فيها من صلاح شأنهم وسعادتهم، وقد تشيّد مطلب القرآن بنصوص تحثّ على مودّتهم، ومنها ما ورد في خصوص مودّة أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها ما ورد في مودّة عامة أهل بيته عليه السلام.

(١) راجع فتح الباري لابن حجر (٥٠/١).

وأخرج علماء أهل السنة في صحاحهم أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام : لا يحبُّك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق^(١).

وأما علماء الشيعة فقد أورده الشيخ المفيد في الإرشاد والأمالى ، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ، والمجلسي في بحار الأنوار ، و فرات الكوفي في تفسيره ، وفي كثير من المصادر الأخرى.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بوروا أولادكم بحبّ علي بن أبي طالب ، فمن أحبّه فاعلموا أنّه لرشده ، ومن أبغضه فاعلموا أنّه لغيّه^(٢).

(١) وهذا حديث يطول الكلام في شرحه وبيان أبعاده ، كما يطول المقام في تعديد مصادرّه ، فهو متواتر مشهور متفق عليه ، رواه أهل السنة والشيعة بطرق شتى وأسانيد عدّة ، أمّا ما نقله علماء السنّة : فمنه عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها كما في مسند أحمد (٢٩٢/٦) ، وجامع الترمذي (٢٩٩/٥ رقم ٣٨٠١) أو (٣٠١/٢) ، و سنن النسائي في كتاب الإيمان (رقم ٢٠) .
وأما بالإسناد إلى الأعمش فقد أخرجه أحمد في المسند (٨٤/١) والحافظ النسائي في السنن (١١٧/٨ رقم ١٩ و١٣١) والحافظ الترمذي في السنن (٣٠٦/٥ باب ٩٤) والقزويني في سنن المصطفى (٥٥/١) والخطيب في التاريخ (٢٥٥/٢) والنسائي في الخصائص ص (٢٧) بطرق ثلاث .
كما ورد في كنز العمال (٥٩٨/١٢ ح ٣٢٨٧٨ ، و ص ٦٢٢ ح ٣٣٠٢٨) ، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (١٠٣/١٧/١٧) ، وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء ص ٦٣٤) ، ومناقب الإمام علي للشافعي ص (١٩٠).

(٢) بوروا أولادكم أي إختبروهم وامتنحوهم . راجع بحار الأنوار (١٨٩/٣٨) وإعلام الورى (١٦٣) .
وورد في حديث عبادة بن الصامت : كنّا نبور أولادنا بحب علي بن أبي طالب ، فإذا رأينا أحدهم لا يحبّه علمنا أنّه لغير رشده . (راجع مناقب آل أبي طالب (٢٠٧/٣) وفي شرح النهج لابن أبي الحديد مثله (٤٨٩/١) .

وأخرج حفاظ أهل الحديث في صحاحهم ومجاميعهم عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي^(١).

وفي البحار (٢٩٦/٣٩) عن أبي سعيد الخدري، وفي تاريخ دمشق في الترجمة (٢٢٤/٢-٧٣٥).
ورواه ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث مادة بور (١/١٦١).

وفي معنى هذه الأحاديث يقول ابن عباس رضي الله عنه:

إذا ما التَّبرُّ حُكَّ على مَحَكِّ تبين غشَّه من غير شكِّ
وفينا التَّبرُّ والذهبُ المصْفَى عليُّ بيننا شِبْهُ المَحَكِّ

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب أهل البيت، وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه (١٧٣/٩)، والحاكم النيسابوري في المستدرک (٣/١٥٠) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

وروي في مجمع الزوائد (١/٨٨) باب فيمن حبههم إيمان، ونظم درر السمطين ص (٢٣٣)،
وينابيع المودة (٢/٣٦٠ و ٤٥٦)، والمعجم الكبير للطبراني (٧/٧٥)، والأوسط (٦/٥٩)،
وإسعاف الراغبين ص (١١٣) أنه قال صلى الله عليه وآله: لا يؤمن عبد الله حتى أكون أحب إليه من نفسه،
وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته.
وروى الخطيب البغدادي في تاريخه (٢/١٤٦)، والعريزي في السراج المنير (٢/٣٧٠) قوله
صلى الله عليه وآله: شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي، وهم شيعة.

وروي في ذخائر العقبى ص (١٨)، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصهفاني ص (٤٤)،
وينابيع المودة (٢/١١٦)، وإسعاف الراغبين ص (١١٣) أنه قال صلى الله عليه وآله: يرد الحوض أهل
بيتي، ومن أحبهم من أمتي، كهاتين السبايتين.

وروي في كنز العمال (٧/٢١٢) عن ابن عباس، والهيثمي في مجمعه (١٠/٣٤٦) عن
الطبراني في الكبير والأوسط، وفي المناقب لابن المغازلي ص (١١٩) ح (١٥٧)، وينابيع المودة

وروى أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ : من أحب هذين - يعني الحسن والحسين - وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة^(١).

→
للقندوزي ص (١٣٣ و ٢٧٠ و ٢٧١)، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص (١٠٩) أنه قال ﷺ : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله فيم أنفقه ومم اكتسبه، وعن حننا أهل البيت. ورؤي في كنز العمال (٢٧٨/٨) وقال : أخرجه أبو نصر في الفوائد والديلمي في الفردوس وابن النجار عن علي عليه السلام، وفيض القدير للمناوي (٢٢٥/١)، والصواعق المحرقة لابن حجر ص (١٠٣) أنه قال ﷺ : أدبوا أولادكم على ثلاث : حب نبيكم، وحب أهل بيتي، وعلى قراءة القرآن.

وفي الصواعق المحرقة لابن حجر ص (١٥٠)، وينايع المودة (٤٦٤/٢) أن النبي ﷺ قال : من أراد التوسل إليّ، وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم.

وفي ذخائر العقبى لمحّب الدين الطبري ص (١٨)، وينايع المودة للقندوزي الحنفي ص (١٩٢ و ٣٠٤ و ٣٩٧)، والصواعق المحرقة ص (١٠٣ و ١٣٩) أنه قال ﷺ : لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمنٌ تقيّ، ولا يبغضنا إلا منافقٌ شقيّ.

وروى أحمد بن حنبل في كتاب فضائل الصّحابة وفي المسند أيضاً، والطبراني في الكبير (٤١٥/٢٢) واللفظ له، وذكره في شرح النهج (١٦٨/٩) وقال : رواه أحمد في كتاب فضائل علي وفي المسند، وفي كنز العمال (١٤٥/١٣)، ومجمع الهيتمي (١٣٢/٩) أنه روي عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت : خرج علينا رسول الله ﷺ عشية عرفة فقال : إنّ الله باهى بكم وغفر لكم عامة ولعليّ خاصة، وإني رسول الله إليكم، غير محابٍ لقرايتي، هذا جبريل يخبرني : أنّ السعيد حقّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته، وإنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٧٧/١) والترمذي في مناقب علي (٢٣٧/١٠).

وقال عليه السلام: من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني^(١).

وكيف لا تتواتر النصوص في تشييد مودّتهم وهم أعدل القرآن الكريم المصرّح بهم في حديث الثقلين، فقد قال عليه السلام: إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، وإنهما لن يفترقا حتّى يرده عليّ الحوض^(٢).

ولا شك أنّ لهذا الحبّ آثاراً تستتبع جملة من الحقوق والإلتزامات الواضحة بالوجدان، منها التولّع بالذّكر والآثار، فقد ذكر الأدباء أن المجنون كان يمرّ بديار ليلي فيقبّل جدران الأبنية حباً لملئكة قلبه.. ويقول:

أمرُّ على الديارِ ديارَ ليلي أُقبّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حُبُّ الديارِ شغفَنَ قلبي ولكن حُبُّ من سَكَنَ الديارا
وقد تدرّج الثعالبي في فقه اللغة تدرّجاً منطقيّاً بحسب شدّة الحب، فبدأ

(١) راجع سنن ابن ماجة في فضائل الحسن والحسين عليه السلام، مسند أحمد بن حنبل (٢/٢٨٨)، وجاء هذا الحديث في مصادر كثيرة منها تاريخ بغداد، وكنوز الحقائق، ومسند أبي داود الطيالسي، وكنز العمال، ومجمع الهيتمي، وذخائر العقبي.

(٢) جاء حديث الثقلين بطرق مختلفة وألفاظ متنوّعة، وتجد الوصية بالكتاب والعترّة وهم أهل البيت عليهم السلام في صحيح مسلم (١٤٩/١٥) ح ٦١٨٧ و ص (١٥١) ح (٦١٨١)، وفي مسند أحمد تحت الأرقام التالية (١٠٩٠١ و ١٠٩٨١ و ١٠٨٧٤ و ١٨٩٠٦)، وفي سنن البيهقي (٩٠/١٥) ح (٢٠٧٧٨) و (٥١١/٢) ح (٢٩٠٩) و (١٣٣/١٠) ح (١٣٤٠٠)، وفي سنن النسائي (٤٨/٥) ح (٨٠٥٤) و ص (١٣٤) ح (٨٣٧٠) و ص (٤٥) ح (٨٠٨١)، وفي سنن الدارمي ح (٣٣١٤).. ولدراسة الحديث بأسانيده ومداليه راجع كتاب "حديث الثقلين" للمحقق السيد علي الميلاني.

بالهوى ثم تدرّج حتى خلّص إلى طغيان الحب الذي يُفقد الإحساس وسمّاه الهيام.. وهي حالة من الإستغراق ينعدم معها الحس ، وكثيراً ما يعيش الإنسان الإستغراق في بعض معانيه إذ ينتبه إلى جرح في يده لا يعلم كيف حدث لاستغراقه في أمر آخر.. وحكي أن قيساً خرج في الليل يطلب ناراً قاصداً مضارب ليلى ، فخرجت له ليلى بقبس من نار فتناوله ، واشتد به أوار الحب فأطال عندها مسترقاً لحظات الخلوة حتى وصلت النار إلي يده ، فقالت له : النار يا قيس !! فقال : والله ما شعرت بها !!

ويصل حبّ الكمل إلى هذه المرتبة أحياناً تجاه الخالق جلّ وعلا ، فقد اشتهر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة لم يشعر باستخراج السهام والنبال من نواحي جسمه !! وهكذا يرتقي حبّ النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في بعض النفوس الكبيرة ، فالآثار التي يظهرها محبّوهم دون ما يستحقّون قطعاً ، ويُفهم من ذلك داعي الحزن والبكاء والجزع وسائر الشعائر الحسينية.

إن حبّهم يحتم علينا الإحتفاء بهم والإهتمام بأيامهم وإحياء أمرهم والتسمية بأسمائهم والتذكير بهم ، وعرض محاسن أفعالهم وأقوالهم ، وتعريفهم بمختلف المظاهر المتاحة اللائقة بشرفهم ومنزلتهم ، والإبتهاج في أيام أفراحهم ، والإهتمام في أيّام أتراحهم ، والبكاء على مصابهم.

ويتحتّم زيارة قبورهم وتشبيدها ، فهي محالّ أجلّ الله تعالى قدرها فقال : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ . وينبغي التبرّك وطلب الرحمة فيها ، وينبغي التألم لمصائبهم ، ويختص مولانا

الإمام الحسين عليه السلام بالنصيب الأكبر من ذلك ، فهو قتيل العبرة وعبرة المؤمنين ، والحزن مندوبٌ عليه ، وهو من أهم مظاهر حبه الصادق .

لقد رُوِيَ في الإختصاص عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى أوجب عليكم حبنا وموالاتنا ، وفرض عليكم طاعتنا ، ألا فمن كان منا فليقتدي بنا ، فإن من شأننا الورع والإجتهاد وأداء الأمانة إلى البر والفاجر ، وصلته الرحم ، وإقراء الضيف ، والعفو عن المسيء ، ومن لم يقتد بنا فليس منا^(١) .

وفي الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الإسلام عريان فلباسه الحياء ، وزينته الوفاء ، ومروءته العمل الصالح ، وعماده الورع ، ولكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت^(٢) .

وفي المحاسن عن الإمام الصادق عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ذكُرْنَا أهل البيت شفاء من الوعك والأسقام ، ووسواس الريب ، وحبنا رضى الرب تبارك وتعالى^(٣) .

وفي بحار الأنوار عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الأعور : كَيْتَفَعَنَّكَ حُبُّنَا عند ثلاث ، عند نزول ملك الموت ، وعند مساءلتك في قبرك ، وعند موقفك بين يدي الله^(٤) .

(١) راجع الإختصاص ص (٢٤١) ، وبحار الأنوار (١١٥/٧٢) .

(٢) راجع الكافي (٤٦/٢) ، وبحار الأنوار (٢٨٢/٦٥) .

(٣) راجع المحاسن (٦٢/١) ، وبحار الأنوار (١٤٥/٢) .

(٤) راجع بحار الأنوار (١٦٤/٢٧) .

وفي أمالي الشيخ الطوسي بإسناده إلى أبي بردة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع، عن جسده فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت^(١).

وفي تفسير العياشي عن بريد بن معاوية العجلي، قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه قادم من خراسان ماشياً، فأخرج رجله وقد تغلّفتا، وقال: أما والله ما جاء بي من حيث جئت إلا حبكم أهل البيت، فقال أبو جعفر عليه السلام: والله لو أحبنا حجر حشره الله معنا، وهل الدين إلا الحب، إن الله يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقال ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ وهل الدين إلا الحب!^(٢).

وفي تفسير العياشي عن أبي عبيدة الحذاء، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: بأبي أنت، ربّما خلا بي الشيطان فخبثت نفسي، ثم ذكرت حبّي إياكم وانقطاعي إليكم فطابت نفسي. فقال: يا زياد، ويحك، وما الدين إلا الحب، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٣).

وروي في بحار الأنوار عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عبادة، وكتمان سرنا جهاد في سبيل الله، ثم قال

(١) راجع بحار الأنوار (٢٥٨/٧)، والخصال (٢٥٣/١)، وأعلام الدين ص (٤٦١).

(٢) راجع بحار الأنوار (٩٥/٢٧).

(٣) راجع بحار الأنوار (٩٤/٢٧).

أبو عبد الله عليه السلام : يجب أن يكتب هذا الحديث بماء الذهب^(١).

وقد أخرج ابن حنبل في المناقب ومحَبّ الدين الطبري الشافعي في ذخائر العقبي والحافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودّة عن الربيع بن مندر، عن أبيه، قال: كان الحسين بن علي عليه السلام يقول: من دمعت عيناه فينا دمعةً، أو قطرت عيناه فينا قطرةً، آتاه الله عزّ وجلّ الجنّة^(٢).

وينطلق الحزن الحسيني كذلك من مبدأ مواساة النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، وبما أنّ ظلامه الإمام الحسين عليه السلام رمز ظلامتهم فإنّ الحزن عليه حزن عليهم جميعاً، وهذه صورة من صور تكريمهم جميعاً عليهم السلام، كما أنّ أحزان الشيعة تنطوي على إعلان إستعداد البذل في سبيل الله تعالى تأسياً بالإمام الشهيد عليه السلام، وتعزّز تمسّكها بالدين وأحكامه وتؤكد تجديد بيعة الولاء بالحب والطاعة لهم عليهم السلام.. فيوم الطّف هو اليوم الذي أبكى رسول الله صلى الله عليه وآله فوجب علينا مواساته فيه.. وقد قال الشريف الرضي رحمته:

لورسولُ الله يحيى بعده جَلَسَ اليومَ عليه للعزا
وقد تقرّر أن الحزن على سيد الشهداء عليه السلام سنة نبويّة مؤكّدة، والبكاء عليه أمر يرتكز على فعل النبي صلى الله عليه وآله القدوة الأسوة الذي نزل الذكر محققاً عصمته في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا

(١) راجع بحار الأنوار (٦٤/٢) و (٢٧٨/٤٤)، والكافي (٢/٢٢٦)، وأمال الطوسي ص

(١١٥)، وأمال الشيخ المفيد ص (٣٣٨)، وبشارة المصطفى ص (١٠٥).

(٢) أورده المحبّ الطبري في ذخائره ص (١٩)، والقندوزي في ينابيع المودّة (٢/٣٧٣ و ١١٧)

باختلاف يسير؛ وكلاهما قال: أخرجه أحمد في المناقب.

آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

والسنة النبوية هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، وقد أتفق في كتب علوم الحديث على هذا الحد، فالمسلمون مجمعون على حجية فعله ﷺ ووجوب طاعته.

ويمكننا بعد دراسة تحقيقية متأنية سبقت في كتابنا "الدّعة السّاكبة" أن نقول أنّ السنة النبوية تلتئم بلثام الحزن على الإمام الحسين عليه السلام في نصوص زاخرة، بل كأن أساه ﷺ وحزنه شاخصان مع نزول كل آية دلت على فضلهم ومنزلتهم عليه السلام، وربما يكون ﷺ قد سخرى بعبراته عند كل منقبة.

ولقد أخرج الحفاظ بأسانيدهم الصحيحة عن ابن عباس أنّه قال: خرجت أنا والنبي ﷺ وعليّ عليه السلام في حيطان المدينة، فمررنا بمديقة، فقال عليّ عليه السلام: ما أحسن هذه المديقة يا رسول الله!! فقال: حديقتك في الجنة أحسن منها. ثم أوماً بيده إلى رأسه ولحيته، ثم بكى حتى علا بكأؤه. قيل: ما يبكيك؟! قال: ضغائن في صدور قوم، لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

وفي لفظ أنس بن مالك: ثم وضع النبي ﷺ رأسه على إحدى منكبي عليّ فبكى، قال له: ما يبكيك يا رسول الله؟!

قال: ضغائن في صدور أقوام، لا يبدونها حتى أفارق الدنيا.

وفي لفظ أمير المؤمنين: فلمّا خلا له الطريق إعتقني، ثم أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله ما يبكيك! قال: ضغائن في صدور أقوام، لا يبدونها لك إلاّ

من بعدي.. فقلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك^(١).

ولك أن تتأمل في حاله عليه السلام يوم ميلاد سبطه عليه السلام لتعجب أو تستغرب! فهو يبكي حين يولد الحسين بن علي! ابن فاطمة الزهراء! يبكي عند ميلاد ريحانته وولده المنتظر وأبي النجوم الزاهرة من أوصيائه! وتهافت الملائكة قبلاً بعد قبيل، وفوجاً بعد فوج، وتهبط إليه مهتأة معزّية، ينعون ولده إليه، وقد جلب جبريل عليه السلام التربة الحمراء التي يُقتل عليها، ويُجمع المسلمون على نقل ذلك الحدث المثير، ثم يتسلم عليه السلام تربة ولده ليقبّلها ويقبّلها ويمزجها بدموع عينيه. أ فلا يدعو هذا للعجب! والأعجب أن يحتفظ عليه السلام بها في قارورة عند زوجته أم سلمة رضي الله عنها ويأمرها بالاحتفاظ بها فإتها إذا صارت دماً عبيطاً فإنّ ولده قد قُتل!

وكم تداعت تلك الصور المفجعة وجالت في خَطرات نفسه! وكم نقل التأريخ الخاص بعض تلك المشاهد التي عبّر فيها عن ألمه لما سيمرّ على أهل بيته عليه السلام من بعده، وقد تعرّضنا في "الدّمة السّاكبة" إلى شطر من تلك الأخبار^(٢).

(١) أخرجه البزاز في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير، وأبو يعلي في المسند، وابن عساكر في تاريخ دمشق، والهيثمي في مجمع الزوائد.

(٢) ومنها ما رواه الشيخ الصدوق رحمته الله في الأمالي ص (١١٢)، والمجلسي في بحار الأنوار (٣٧/٢٨)، والطبري في بشارة المصطفى ص (١٩٨)، وابن شاذان في الفضائل ص (٨): بإسناد مرفوع إلى ابن عباس: أنّ رسول الله عليه السلام كان جالساً ذات يوم، إذا أقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى ثم قال: إليّ إليّ يا بُني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، ثم أقبل الحسين عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بُني، فما زال يدينه حتى أجلسه على فخذه اليسرى، ثم أقبلت فاطمة عليها السلام فلما رآها بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا بنية، فأجلسها بين يديه،

ثم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: إليّ إليّ يا أخي، فما زال يدنيه حتى أجلسه إلى جنبه الأيمن. فقال له أصحابه: يا رسول الله ﷺ: ما ترى واحداً من هؤلاء إلاّ بكيت، أو ما فيهم من تُسرّ برؤيته؟

فقال عليه السلام: والذي بعثني بالنبوة، واصطفاني على جميع البرية، إني وإياهم لأكرم الخلق على الله عز وجل، وما على وجه الأرض نسمة أحب إليّ منهم، أما علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه أخي وشقيقي وصاحب الأمر بعدي، وصاحب لوائي في الدنيا والآخرة، وصاحب حوضي وشفاعتي، وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصيي وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، محبّه محبي ومبغضه مبغضتي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له منها ملعونة، وإني بكيت حين أقبل لأنني ذكرت غدر الأمة به بعدي، حتى أنه ليزال عن مقعدي، وقد جعله الله له بعدي، ثم لا يزال الأمر به حتى يُضرب على قرنه ضربة تخضب منها لحيته في أفضل الشهور ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. وأما ابنتي فاطمة. فإنها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي بضعة منّي، وهي نور عيني، وهي ثمرة فؤادي، وهي روعي التي بين جنبي، وهي الحوراء الإنسية، متى قامت في محرابها بين يدي ربّها جل جلاله زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة إمامي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبيها على عبادتي، أشهدكم أنني قد آمنت شيعتها من النار.

وأني لما رأيته ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأنني بها وقد دخل الذل بيتها، وانتهكت حرمتها، وغصبت حقّها، ومُنعت إرثها، وكسرت جنيتها، وأسقطت جنيتها، وهي تنادي: يا محمداه، فلا تجاب، وتستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقني أخرى، وتستوحش إذا جتّها الليل لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلة بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة، فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بالملائكة فنادت بها نادته به مريم بنت عمران،

فتقول: يا فاطمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يا فاطمة ﴿أَقْتَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

ثم يبتدئ بها الوجع، فتمرض، فبيعت الله عز وجل إليها مريم بنت عمران تمرضها وتؤنسها في علتها، فتقول عند ذلك: يا رب، إني سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا، فألحقني بأبي، فيلحقها الله عز وجل بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن من ظلمها، وعاقب من غضبها، وذلل من أذلها، وخذل في نارك من ضرب جنبيها حتى ألفت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين.

وأما الحسن عليه السلام فإنه ابني وولدي ومني، وقرّة عيني وضيء قلبي وثمرّة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري وقوله قولي، من تبعه فإنه منّي، ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الدّل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته، ويبكيه كل شيء، حتى الطير في جو السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تَعَم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام.

وأما الحسين عليه السلام فإنه مني، وهو ابني وولدي، وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، ومولى المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وغيث المستغيثين، وكهف المستجيرين، وحجة الله على خلقه أجمعين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وباب نجات الأمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي، من تبعه فإنه منّي، ومن عصاه فليس منّي، وإني لما رأيته تذكّرت ما يصنع به بعدي، كأني به وقد استجار بحرمي وقربي فلا يجار، فأضمه في منامي إلى صدري، وأمره بالرحلة عن دار هجرتي، وأبشره بالشهادة، فيرتحل عنها إلى أرض مقتله وموضع مصرعه، أرض كرب وبلاء وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين، أولئك من سادة شهداء أمّتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه وقد رمي بسهم فخرّ عن فرسه صريعاً، ثم يُذبح كما يذبح الكبش مظلوماً، ثم بكى رسول الله ﷺ وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالصّحيج، ثم قام ﷺ وهو

ولقد رحلَ النبي ﷺ عن مسرح الحياة ولم يزل يشرف على هموم عترته من العالم الآخر، إذ تواتر نقل بكائه يوم عاشوراء على ولده عليّ السلام، فأخرج ابن حنبل في مسنده بإسناد يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ في ما يرى النَّائم بنصف النَّهار وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم.. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم.. فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم^(١).

وأخرج الترمذي في الجامع الصحيح بإسناد إلى رزين، قال: حدّثني سلمى قالت: دخلت عليّ أم سلمة وهي تبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت

→

يقول: اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله.

(١) قد أخرج هذا الحديث عدة من الحفاظ كالطبراني في المعجم الكبير، والبيهقي في دلائل النبوة، والحاكم النيسابوري في المستدرک، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وابن عساکر في تاريخ دمشق، والعراقي في طرح التثريب، وابن الأثير في أسد الغابة، والزرندي في نظم الدرر. كما وأخرجه الكنجي في الكفاية، ومحب الدين الطبري في ذخائر العقبى، وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص، والهيثمي في مجمع الزوائد، وابن حجر في الصواعق المحرقة، والسيوطي في الخصائص الكبرى، والقرماني في تاريخه، والشيخاني في الصراط السوي، والشعراني في مختصر تذكرة القرطبي وقال:

قال الإمام القرطبي: وهذا سند صحيح لا مطعن فيه، قال ابن عباس: وساق القوم حرم رسول الله ﷺ في ذلك اليوم كما تساق الأسارى، حتى إذا بلغوهم إلى الكوفة خرج الناس وجعلوا ينظرون إليهم، وكان في الأسارى يومئذ علي بن الحسين رضي الله عنه وكان شديد المرض، قد جمعت يده إلى عنقه، وزينب بنت علي من فاطمة الزهراء، وأختها أم كلثوم، وفاطمة وسكينة بنتا الحسين، وساق الفسقة معهم رؤوس القتلى. الخ.

رسول الله ﷺ - تعني في المنام - وعلى رأسه وحيطه التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : شهدت قتل الحسين آنفا^(١).

وأخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق مسنداً إلى علي بن زيد بن جدعان ، قال : إستيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع ، وقال : قتل الحسين والله ، فقال له أصحابه ، كلاً يا ابن عباس كلا ! قال : رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم ، فقال : ألا تعلم ما صنعت أمّتي من بعدي ؟! قتلوا إبني الحسين ، وهذا دمه ودم أصحابه ، أرفعهما إلى الله عزّ وجل .

قال : فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ، وتلك الساعة.. قال : فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً ، حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة^(٢).

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب من صحيحه ح (٥) باب مناقب الحسن والحسين (١٣/١٩٣) ، وروى مثله ابن عساكر في تاريخه ، في ترجمة الإمام الحسين ص (٣٨٨) ح (٣٢٨) ، ورواه الحاكم في آخر ترجمة أم سلمة من المستدرک (٤/١٩).

وأخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية ، وابن حنبل في المسند ، والبيهقي في دلائل النبوة ، وابن الأثير في جامع الأصول ، ومحّب الدين الطبري في ذخائر العقبي ، والزرندي في نظم الدرر ، والأرنجاني في نزهة الأبرار ، وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء والخصائص الكبرى ، وابن حجر في الصواعق المحرقة ، والشّرخاني في الصراط السّوي .

(٢) أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق عند ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ص (٣٨٧) ح (٣٢٧) ، وقال السيد الشرخاني في الصراط السّوي بعد روايته حديث أحمد المذكور : وفي رواية لأحمد : أن ابن عباس كان في قاتلة له ، فانتبه من قاتلته وهو يسترجع ، ففرغ أهله ، فقالوا : ما شأنك ، ما لك ؟! قال : رأيت النبي ﷺ وهو يتناول من الأرض شيئاً ، فقلت :

أعظم المصائب !!

مصيبة الإمام الحسين عليه السلام كارثة إنسانية بمختلف المقاييس ، ومأساة بشرية بكافة الإعتبارات ، فمن أي زاوية نظرت إليها عدت كذلك ، ولهذا فإنّ أصدقاء المصيبة قد سبقتها كما أنّها قد توالى بقبوِّ بعدها ، وتزيدنا الأخبار الصادقة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بعداً آخر يزيد وقدة شعلتها ، فهي تصف حال العوالم الأخرى وتأثير المصيبة عليها ، ولم يكن ثمة طريق للإشراف على تلك العوالم الغيبية إلاّ أخبار الصادقين عليهم السلام ، وسيأتي تفصيل ذلك بحول الله تعالى .

ومن الطبيعي أن تُسبق حادثة كحادثة الطّف بالأحزان من عهد طويل ، فإنّها من أعظم المصائب ، وبهذا نضع أيدينا على بُعدٍ جديد من أبعاد خلود الحزن الحسيني وبقائه على تصرّم الليالي والأيام ، وقد أورد المحدثون جملة من روايات أهل البيت عليهم السلام التي يُفسّرون فيها سبب كون هذه المصيبة بالذات هي أعظم المصائب ، وسنحاول دراسة بعضها في هذه المقدّمة .

روى الشيخ الصدوق رحمته الله في علل الشرائع بإسناده إلى عبد الله بن الفضل أنّه سأل الإمام الصادق عليه السلام : يا ابن رسول الله ، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام واليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسّم ؟

فقال عليه السلام : إن يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام ،

بأبي وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي تصنع ؟! قال : دم الحسين ، أرفعه إلى السماء .

وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله كانوا خمسة، فلما مضى عنهم النبي بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلما مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلما مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهم السلام عزاء وسلوة، فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة.

فلما قُتل الحسين (صلى الله عليه) لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاؤه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

فقلت له: يا ابن رسول الله، فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عليه السلام عزاء وسلوة مثل ما كان لهم في آباءه عليهم السلام؟

فقال: بلى، إن علي بن الحسين كان سيد العابدين وإماماً وحجة على الخلق بعد آباءه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله ﷺ ولم يسمع منه، وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع رسول الله ﷺ في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم، إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة.

فقلت له: يا ابن رسول الله، فكيف سمت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى ﷺ ثم قال: لما قتل الحسين ﷺ تقرّب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن إلى الفرح والسرور، والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم.

ثم قال ﷺ: يا ابن عم، وإن ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا زعموا أن الحسين ﷺ لم يقتل وأنه شبه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذا على بني أمية ولا عتب على زعمهم يا ابن عم.

من زعم أن الحسين لم يقتل فقد كذب رسول الله وعلياً وكذب من بعده من الأئمة ﷺ في إخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكل من سمع ذلك منه.

فقلت له: يا ابن رسول الله، فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟

فقال ﷺ: ما هؤلاء من شيعتي، وأنا بريء منهم^(١).

ويشير أماننا هذا النصّ الحبري أماننا عدّة نقاط:

أولاً: مرتكزات الشيعة وموروثاتهم:

إنّ راوي الخبر - عبد الله بن الفضل الهاشمي الذي عدّه المحقق الآية السيّد الخوئي رحمته في أصحاب الإمام الصادق ﷺ والذي خلص في معجم رجاله إلى القول بتوثيقه واتحاده مع عبد الله بن الفضل النوفلي - قد لاحظ باعتبار

(١) راجع بحار الأنوار (٢٧٠/٤٤) عن علل الشرايع.

قربه وملازمته للإمام عليه السلام مظاهر خاصة دلت على اعتبار الأئمة عليهم السلام يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون سائر أيام مصائبهم.

ولهذا فإننا نراه قد انطلق في سؤاله للإمام عليه السلام من هذه المرتكزات المسلمة التي استطاع أهل البيت عليهم السلام تأصيلها في ذهنية أشياعهم وأتباعهم وأصحابهم، عن طريق أفعالهم وأقوالهم وتقريراتهم، وسيأتي بيان ذلك بحول الله تعالى.

حتى عرف " عبد الله الهاشمي " مسلماً أن يوم عاشوراء أعظم مصيبة عندهم من يوم قبض النبي ﷺ ويوم فقد فاطمة عليها السلام ويوم قتل أمير المؤمنين عليه السلام ويوم سم الحسن عليه السلام، وكان سؤاله عن سر أهمية تلك المصيبة على سائر المصائب !!

ولا يزال هذا المرتكز المتوارث شاخصاً في الذهنية الشيعية، والكل مُجمع على أن مصيبة سيد الشهداء عليه السلام أعظم مصائب أهل البيت عليهم السلام من غير تردد، سواء علم الناس أم جهلوا سر ذلك، ويسوقنا ذلك إلى نتيجة باهرة، وهي وثوق صلة الشيعة بأئمتهم عليهم السلام، وتحذر أحاسيسهم عن وجدان الأئمة عليهم السلام وميولهم، فهذه المرتكزات والموروثات من غرسهم عليهم السلام وتأسيسهم، وقد تعاهد الشيعة نقلها جيلاً بعد جيل.

إذا كان هذا هو حال عامة شيعتهم فكيف يكون حال أصحابهم الملتصقين بهم المتلقين عنهم، فإن مرتكزاتهم الذهنية كاشفة من غير شك عن أصل أسسه الأئمة عليهم السلام، وبالتالي إن سيرهم مُلفتة للنظر، وخصوصاً في ما يتعلق بمصيبة سيد الشهداء عليه السلام، وإن كانت أسماء بعضهم غير لامعة وشخصياتهم غير واضحة المعالم.

ومن هذا القبيل ما رواه ابن قولويه بإسناده إلى مسمع بن عبد الملك كردين

البصري في حديث طويل ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : أفما تذكر ما صنع به - يعني بالحسين عليه السلام - ؟

قلت : نعم. قال : فتجزع ؟ قلت : إي والله ، وأستعبر لذلك ، حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ ، فأمتنع من الطعام ، حتى يستبين ذلك في وجهي .
قال : رحم الله دمعتك ، أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا ، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا ، أما إنك ستري عند موتك حضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة أفضل ، ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها^(١) .

فإنّ المرتكز عند راوي هذا الحديث هو عظم مصيبة الإمام الحسين عليه السلام والمغروس في وجدانه هو الحزن الشديد على مصيبته التي تصغر عندها جميع المصائب ، وقد دلّت سيرته في بيته على ذلك ، وهذا هو حال الأعم الأغلب من رواة الحديث وأصحاب الأئمة عليهم السلام .

ثانياً : خصوصية أصحاب الكساء :

إنّ أوّل ما نستفيده من فقه هذا الخبر هو تقرير الإمام عليه السلام ذلك المرتكز وتأكيده على أنّ يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من سائر الأيام ، ولا توازي مصيبته مصيبة من مصائبهم مهما جلّت وعظمت .

ثم شرّع عليه السلام في بيان علّة ذلك ، فأكد أنّ الخمسة أصحاب الكساء كانوا أكرم الخلق على الله تعالى ، والإمام الحسين عليه السلام هو خامس الأطهار في قصّة

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٠١) ، وبحار الأنوار (٤٤/٢٨٩) ، ووسائل الشيعة (١٤/٥٠) .

الكساء، وقد حصرهم النبي ﷺ تحت الكساء اليماني أسوة بآية التطهير التي حصرتهم في إرادة الجليل بتطهيرهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في حديثٍ مُسَلَّمٍ اتَّفَقَ عَلَيْهِ كَافَّةُ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ بَيْنَهُمْ فِيهِ، وَهِيَ فَضِيلَةٌ تَصْغُرُ عِنْدَهَا الْفَضَائِلُ، وَكَانَ يَهْدَفُ الْوَحْيُ إِلَى تَبْرِيزِهِمْ وَإِشْهَارِ خُصُوصِيَّتِهِمْ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ الشَّرِيفَةَ لِإِثْبَاتِ حُجَّتِهِمْ، وَقَدْ شَرَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ شَرْحاً عَمَلِيّاً بَدِيعاً كَمَا فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ فِي الْعَوَالِمِ.

وقد توهم بعضٌ تعدّي شمولها إلى غير الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام كزوجات النبي ﷺ أو قرابته، بل واستدلّ بعضهم بالسياق على أنها خاصة بزوجاته، حيث وردت بين آيات توجه الخطاب لهنّ، وهو استدلال مردود.

فقد أجمعت الروايات التي ذكرت حادثة الكساء وسبب نزول آية التطهير على نزولها مستقلة، وأنها لم تنزل ضمن الآيات التي تخاطب زوجات النبي ﷺ، ووجودها بين تلك الآيات لا يثبت كونها فيهنّ، وقد اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يَجْمَعْ حَسَبَ النُّزُولِ، فَكَمْ مِنْ آيَةٍ مَدِينِيَّةٍ وَقَعَتْ بَيْنَ آيَاتٍ مَكِّيَّةٍ، وَكَمْ تَخَلَّتْ جُمْلَةٌ أَعْجَبِيَّةٌ ضَمِنَ خُطَابٍ مُتَنَاسِقٍ فِي جِهَةٍ أُخْرَى، فَتَأَمَّلْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ. يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ ولاحظ جملة: "يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا" مستعرضة خلال خطاب عزيز مصر الموجه لزوجته، ويتقرر بذلك إمكان ورود آية التطهير أجنبية عن السياق التي تخللته.

والقول باختصاص آية التطهير بالزوجات اجتهاد في مقابل النص الصحيح الصريح، فقد نصّ الرسول ﷺ على أنّ المراد بأهل البيت في آية التطهير الخمسة أصحاب الكساء فقط، كما أنّه لاشك في اختصاصها بالخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام دون غيرهم، والأحاديث الواردة من طرق أهل السنة تثبت هذه الحقيقة. فقد أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک على الصحيحين بسنده عن واثلة بن الأسقع قال: جئت أريد علياً عليه السلام فلم أجده، فقالت فاطمة عليها السلام: انطلق إلى رسول الله ﷺ يدعوه فاجلس، فجاء مع رسول الله ﷺ فدخل ودخلت معهما، قال: فدعا رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فأجلس كل واحد منهما على فخذه، وأدنى فاطمة من حجره وزوجها، ثم لفّ عليهم ثوبه، وأنا شاهد، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ اللهم هؤلاء أهل بيتي^(١).

وأخرج أيضاً بسنده عن واثلة بن الأسقع عليه السلام نفس الحديث بزيادة: هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق^(٢).

وأخرج الترمذي في صحيحه بسنده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً فجلبهم

(١) راجع المستدرک على الصحيحين (٢/٤٥١)، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) راجع المستدرک على الصحيحين (٣/١٥٩)، ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

بكساء وعلي خلف ظهره، فجّللهم بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال أنت على مكانك، وأنت على خير^(١).

وروى الطبري في تفسيره بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء أهلي وأهل بيتي^(٢).

(١) راجع صحيح الترمذي (٣٥١/٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة. وقد صحّحه الشيخ الألباني.

(٢) راجع تفسير الطبري (٢٩٨/١٠). والأحاديث المروية في كتب أهل السنة والجماعة في حديث الكساء كثيرة جداً، وألفاظها متفاوتة، إلا أن مؤداها واحد، ولا بد من عرض بعضها تحقيقاً للتأكيد.

فقد أخرج النسائي في السنن الكبرى (١١٢/٥) بسند صحيح عن عمرو بن ميمون قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: إما أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا، وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: أنا أقوم معكم، فتحدّثوا فلا أدري ما قالوا، فجاء هو ينفض ثوبه وهو يقول: أفّ وتفّ، يقعون في رجل له عشر، وقعوا في رجل قال رسول الله ﷺ: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله، لا يخزيه الله أبداً، فأشرف من استشرف، فقال: أين علي؟ وهو في الرحا يطحن وما كان أحدكم يطحن، فدعاه وهو أرمد ما يكاد أن يبصر، فنفت في عينيه ثم هزّ الراية ثلاثاً فدفعها إليه، فجاء بصفية بنت حيي، وبعث أبا بكر بسورة التوبة، وبعث علياً خلفه فأخذها منه فقال: لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه، ودعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين وعلياً وفاطمة ومدّ عليهم ثوباً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، ولبس ثوب رسول الله ﷺ ونام فجعل المشركون يرمون كما يرمون رسول الله ﷺ وهم يحسبون أنه نبي

الله، فجاء أبو بكر فقال: يا نبي الله، فقال علي: إن نبي الله ﷺ قد ذهب إلى نحو بئر ميمون فاتبعه، فدخل معه الغار، وكان المشركون يرمون علياً حتى أصبح.

وخرج بالناس في غزوة تبوك، فقال علي: أخرج معك؟ فقال: لا، فبكى، قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي، ثم قال: أنت خليفتي، يعني في كل مؤمن من بعدي، قال: وسدّ أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد وهو جنب وهو في طريقه ليس له طريق غيره، وقال: من كنت وليه فعلي وليه.

وأخرج النسائي في خصائص الإمام علي عليه السلام ص (٣٢) بسند صحيح عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر سعداً معاوية، فقال: ما يمنعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أنا ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لئن يكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وخلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله أتخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فتناولنا إليها، فقال: ادعوا لي علياً فأتي به أرمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه. ولما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي.

وأخرج أيضاً في خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص (٧٠) بسند صحيح عن عامر بن سعد بن أبي وقاص مثله وفيه: ذكرت حين نزل عليه الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء أهل بيتي وأهلي.

وأخرج الترمذي في صحيحه (٦٩٩/٥) بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ جَلَّلَ الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب، وفي الباب عن عمر ابن أبي سلمة وأنس بن مالك وأبي الحراء ومعتل بن يسار وعائشة.

وقد صرّح جمع من علماء أهل السنة باختصاص آية التطهير بأصحاب

وأخرج الحاكم في المستدرک (١٤٨/٣) عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرّحمة هابطة قال: ادعوا لي، فقالت صفيّة: من يا رسول الله؟ قال: أهل بيتي، علياً وفاطمة والحسن والحسين، فجيء بهم، فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه، ثم رفع يديه ثم قال: اللهم هؤلاء آلي، فصلّ على محمّد وآل محمّد، وأنزل الله عزّ وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرج أيضاً في المستدرک (٤١٦/٢) عن عطاء بن يسار عن أم سلمة ؓ أنّه قالت: في بيتي نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين ؓ فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، قالت أم سلمة: يا رسول الله، أنا من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير، وهؤلاء أهل بيتي، اللهم أهلي أحق. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وأقرّه الذهبي في تلخيصه.

وفي تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٣/٣) عن الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن شداد بن عمار قال: دخلت على وائلة بن الأسقع ؓ وعنده قوم فذكروا علياً ؓ فشتموه فشتمته معهم، فلما قاموا قال لي: شتمت هذا الرجل؟ قلت: قد شتموه فشتمته معهم، فقال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، قال: أتيت فاطمة ؓ أسألها عن علي ؓ فقالت: توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه علي وحسن وحسين ؓ أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فآدني علياً وفاطمة ؓ وأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً (رضي الله عنهما) كل واحد منهما على فخذه ثم لفّ عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق.

الكساء دون غيرهم ، ومنهم الفقيه الحنفي العلامة أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي ، في كتابه معتصر المختصر ، فقد أورد بعض الأحاديث ثم قال : وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ استئنافاً تشريفاً لأهل البيت وترفعاً لمقدارهم ، ألا ترى أنه جاء خطاب المذكر فقال عنكم ولم يقل عنكن ، فلا حجة لأحد في إدخال الأزواج في هذه الآية ، يدل عليه ما روي أن رسول الله ﷺ كان إذا أصبح أتى باب فاطمة فقال السلام عليكم أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١).

وقال الإمام الطحاوي في مشكل الآثار (باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ) : في المراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ من هم ؟

فروى مسنداً عن عامر بن سعد عن أبيه قال : لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي . فكان في هذا الحديث أن المراد بما في هذه الآية هم : رسول الله وعلي وفاطمة وحسن وحسين .

وروى مسنداً عن أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية في رسول الله وعلي وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . ففي هذا الحديث الذي في الأول .

(١) راجع معتصر المختصر (٢/٢٦٦٢٦٧).

وروى أحاديث بأسانيد عدّة عن أم سلمة رضي الله عنها ثم قال: فدّل ما روينا من هذه الآثار مما كان من رسول الله إلى أم سلمة، ممّا ذكرنا فيها لم يرد به أنّها كانت ممّا أريد في الآية المتلوة في هذا الباب، وأنّ المراد بما فيها هم رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين دون من سواهم.

واستدل لذلك بما يقرب من استدلال أبو المحاسن السّابق، ثمّ قال:

وقال العلامة سيدي محمد حبسوس في شرح الشمائل: ثم جاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معهم ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي ذلك إشارة إلى أنّهم المراد بأهل البيت في الآية^(١).

وقال العلامة أبو بكر الحضرمي في رشفة الصادي:

والذي قال به الجماهير من العلماء وقطع به أكابر الأئمة وقامت به البراهين وتضافرت به الأدلة أن أهل البيت المرادين في الآية هم سيّدنا علي وفاطمة وابناهما، وما تخصيصهم بذلك منه رضي الله عنهم إلا عن أمر إلهي ووحى سماوي.

وقال: والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وبما أوردته منها يعلم قطعاً أن المراد بأهل البيت في الآية هم علي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم ولا التفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان من أن تخصيص الخمسة المذكورين عليهم السلام بكونهم أهل البيت من أقوال الشيعة، لأنّ ذلك محض تهوّر يقتضي بالعجب، وبما سبق من الأحاديث وما في كتب أهل السنة السنية يسفر الصبح لذي عينين^(٢).

(١) راجع لوامع أنوار الكوكب الدّري (٢/٨٦).

(٢) راجع رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي ص (١٣١٤) الباب الأول.

وبه قال السّمهودي في جوهر العقدين والشّوكاني في إرشاد الفحول ، وغيرهما ممّا لا يبقى مجالاً حتّى لاحتمال دخول الزّوجات في مفهوم أهل البيت عليهم السلام حسب دلالة الآية الكريمة ، فضلاً عن إدخال كلّ من ينتسب إلى النبي صلى الله عليه وآله ، والنّصوص الصّريحة كما ترى تأبى ذلك ، وتقتصر دلالاتها على أصحاب الكساء عليهم السلام ولو كان يمكن دخولهنّ لما كان لمنعه صلى الله عليه وآله أم سلمة من الدّخول وجهً أصلاً.. هذا.. ولم تدّع واحدة منهنّ دخولهنّ في مفهوم آية التّطهير ، بل الرواية عنهنّ بعكس ذلك ، وعليه فإنّ الآية الكريمة نازلة في خصوص الخمسة أصحاب الكساء عليهم السلام .

والحاصل أنّ خبر الكساء مجموعاً إلى مدلول آية التّطهير منقبة جليّة وفضيلة عظيمة تتضاءل عندها المناقب والفضائل ، خصوصاً إذا ما لاحظنا الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بطرق شيعتهم فإنّها أخصّ دلالة على ذلك ، ويظهر منها للخمسة التّجباء عليهم السلام مقامٌ شامخٌ ، لا يلحقهم فيه ملكٌ مقربٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ ، ولا يحتمل فضلهم إلاّ من شرح الله تعالى صدره لقبول أمرهم .

وروى القمّي في تفسير الآية عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثمّ ألبسهم كساءً له خبيرياً ودخل معهم فيه .

ثمّ قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي الذين وعدتني فيهم ما وعدتني ، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فنزلت هذه الآية .

فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا رسول الله ؟

قال: أبشري يا أم سلمة، فإنك إلى خير.

قال أبو الجارود وقال زيد بن علي بن الحسين: إن جهّالا من الناس يزعمون أنها أراد الله بهذه الآية أزواج النبي ﷺ وقد كذبوا وأثموا، وأيم الله لو عنى بها أزواج النبي ﷺ لقال: ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيرا، ولكان الكلام مؤثنا كما قال: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ وَلَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(١).

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي بإسناد إلى دعبل عن الرضا عن آبائه عن علي بن الحسين عليه السلام عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي وفي يومي، وكان رسول الله ﷺ عندي، فدعا عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجاء جبرئيل فمدّ عليهم كساء فديكيا، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

قال جبرئيل: وأنا منكم يا محمد؟ فقال النبي ﷺ: وأنت منا يا جبرئيل.

قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله، وأنا من أهل بيتك؟ وجئت لأدخل معهم، فقال: كوني مكانك يا أم سلمة، إنك إلى خير، أنت من أزواج نبي الله، فقال جبرئيل: اقرأ يا محمد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام^(٢).

والذي يظهر بعد النظر في الحادثة المرتبطة بالكساء هو أنها متكررة بحسب

(١) راجع بحار الأنوار (٢٠٧/٣٥).

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٠٧/٣٥).

الواقع ، وهذه الروايات ليست حاكية عن موقف واحد بالضرورة ، ولا مانع من تعدد الأحداث المرتبطة بالكساء ، وقد استخدم رسول الله ﷺ أداة الحصر الحسية هذه في أكثر من موقف وموطن ، ودلّ على فضلهم بالتحديد في موارد متعددة ، بل وترقى بعد التتبع إلى القول بأنه قد استخدم الحصر بالكساء في غير مناسبة آية التطهير أيضاً ، فقد دلّت نصوص على تجسيده الأسلوب نفسه يوم المباهلة ، مدلاً على حصر مضمون آياتها بالخمسة الأطهار ﷺ دون غيرهم .

وسنورد باختصار ما رواه السيد ابن طاووس في سعد السعود بإسناد إلى المنكدر أنّ السيّد والعاقب أسقفا نجران وفدا في سبعين راكب إلى النبي ﷺ وجلسوا إليه وناظروه ، حتى تغشى النبي ﷺ الوحي ونزل عليه : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ فتلى عليهم القرآن ، وقال لهم ﷺ : إن الله قد أمرني بمباهلتكم . فقالوا : إذا كان غداً باهلتنا . فقال القوم بعضهم لبعض : حتى ننظر بمن يباهلنا غداً ، بكثرة أتباعه من أوباش الناس ، أم بأهله من أهل الصفوة والطهارة ، فإنهم وشيخ الأنبياء وموضع بهلهم ؟

فلما كان من غد غدا رسول الله ﷺ يمينه علي وبيساره الحسن والحسين ومن ورائهم فاطمة ﷺ ، عليهم الحلل النجرانية ، وعلى كتف رسول الله ﷺ كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا لين ، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ، ونشر الكساء عليهما وأدخلهم تحت الكساء ، وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت الكساء ، معتمداً على قوسه التبع ، ورفع يده اليمنى إلى السماء للمباهلة ،

وأشرف الناس ينظرون !!

واصفر لونُ السيد والعاقب وزلزلا حتى كاد أن يطيش عقولهما، فقال أحدهما: أباهلته؟ قال: ما باهل قومٌ قطَّ نبيًّا فنشأ صغيرهم وبقي كبيرهم، ولكن أراه أنك غير مكترث وأعطته من المال والسلاح ما أراد فإن الرجل محارب، وقل له: أبهؤلاء تباهلنا، لئلا يرى أنه قد تقدّمت معرفتنا بفضله وفضل أهل بيته، فلما رفع النبي ﷺ يده إلى السماء للمباهلة قال أحدهما لصاحبه: أي رهبانيّة، دارك الرجل فإنه إن فاه ببهلة لم نرجع إلى أهل ولا مال !!

فقالا: يا أبا القاسم، أبهؤلاء تباهلنا؟

قال: نعم، هؤلاء أوجه من على وجه الأرض بعدي إلى الله وجهة، وأقربهم إليه وسيلة.. قال: فبصبصا، يعني ارتعدا وكرا، وقال له: يا أبا القاسم، نعطيك ألف سيف وألف درع وألف حجة وألف دينار كل عام على أن الدرع والسيف والحجف عندك إعارة، حتى تأتي من ورائنا من قومنا فنعلمهم بالذي رأينا وشاهدنا فيكون الأمر على ملاء منهم، فإما الإسلام وإما الجزية وإما المقاطعة في كل عام.

فقال النبي ﷺ: قد قبلت منكما، أما والذي بعثني بالكرامة لو باهلتُموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي نارا تأجج، ثم ساقها إلى من وراءكم في أسرع من طرف العين فحرقتهم تأججا، فهبط عليه جبرئيل الروح الأمين فقال: يا محمد، إن الله يقرئك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي، لو باهلت بمن تحت الكساء أهل السماء وأهل الأرض لتساقطت عليهم السماء كسفاً متهافتة ولتقطعت الأرضون زبرا سائحة فلم يستقر عليها بعد ذلك، فرفع النبي ﷺ يديه

حتى رئي بياض إبطيه ثم قال : على من ظلمكم حقكم وبخسني الأجر الذي افترضه الله عليهم فيكم بهلة الله تتابع إلى يوم القيامة^(١).

فتأمل في منزلة الواحد من هؤلاء الخمسة الأطهار عليهم السلام عند الله تعالى وعظيم كرامته، والأخبار ناطقة مصرحة بعلو مقامهم، لتعلم أن مزاياهم فوق مزايا البشر، وتخطر ببالي رواية تناسب المقام قد سمعتها من بعض الكمّل ولم أعثر عليها في مصدر معتبر، ومؤداها أن الله سبحانه لما أنزل قوله :

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا. لِلطَّاغِينَ مآبًا. لَآئِشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا. لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا. إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا. جَزَاءً وَفَاقًا. إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا. وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾.

عزّ على النبي صلى الله عليه وآله ذلك، وعظم عليه عذاب أمته، فسأل جبرئيل عن مستحقّي هذا العذاب الأليم، فأطرق جبرئيل خجلاً منه، وقال : إنهم من أمّتك ! فأخرج النبي صلى الله عليه وآله أصحاب الكساء عليهم السلام إلى البقيع حتى يدعوا لأمتهم، وجثى الخمسة الطاهرون على الركب، وكشف النبي صلى الله عليه وآله رأسه قائلاً : إلهي أمّتي، وشيعة أخي، فنزلت الرّحمة من السّماء السّابعة إلى السّادسة، وكشف عليّ عليه السلام رأسه قائلاً : إلهي أمّة أخي، وشيعتي، فنزلت الرّحمة من السّماء السّادسة إلى الخامسة، وكشفت الزّهراء عليها السلام مقنعتها قائلة : إلهي أمّة أبي، وشيعة ابن عمّي، فنزلت الرّحمة من السّماء الخامسة إلى الرّابعة، وكشف الحسن عليه السلام رأسه قائلاً : إلهي أمّة جدّي، شيعة أبي، فنزلت الرّحمة من السّماء الرّابعة إلى الثالثة.

(١) راجع بحار الأنوار (٣٥٢/٢١).

ولما همّ الحسين عليه السلام كشف رأسه هبط الأمين جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله قائلاً :
لقد نزلت الرحمة إلى سماء الدنيا ، والحسين لا يكشف عن رأسه !!
ويمكننا أن نقول هنا أنّ للإمام الحسين عليه السلام خصوصية على سائر الخمسة
الطاهرين عليهم السلام من حيث المصيبة ، فمصيبته حاضرة في عالم الغيب ويعرفها أهل
السماء أكثر من أهل الأرض ، وكشف رأسه يصوّر مأساته المقبلة في يوم
عاشوراء ، والتي أثرت على الكون والملائكة وما يرى وما لا يرى ، ومعلوم أنّ
كشف رأسه الشريف هو المشهد المفجع الأخير قبل شخوص الشّمر بن ذي
الجوشن إلى مصرعه !!

فإنّ الملائكة التي شهدته صغيراً تحت الكساء اليماني ، هي التي شهدته
مسلوب اللباس على بوغاء كربلاء.. والملائكة التي شهدت رأسه في حجر جدّه
المصطفى صلى الله عليه وآله شهدت رأسه فوق عالي القناة والريح تلاعب شيبته.. والتي شهدته
مُعتمّاً تحت الكساء شهدته مكشوف الرأس وقد تفجّر جبينه دماً من ضربة حجر
أبي الحتوف الجعفي !!

وقد ساوى عظيم فضله عليه السلام عظيم مصيبته ، ولاح حديث الكساء في ذهنيّة
المقربين عند مقتله ، وذكره عند ورود خبر مصرعه ، فهي مصيبة خامس
أصحاب الكساء عليهم السلام وهو العزاء والسّلوة للخلق ، فكيف يُقتل بهذه الطّريقة من
يكون هذا فضله وشرفه ومنزلته ، وكيف تُجحف الإنسانية في فردّها الأكمل
ونسختها المفردة التي لن تتكرّر !!

وقد روى السيّد ابن طاووس في الطرائف بإسناده إلى سهل أنّ أم سلمة

زوجة النبي ﷺ حين جاء نعي الحسين لعنت أهل العراق، وقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وأذلّوه لعنهم الله، فإني رأيت رسول الله ﷺ وقد جاءته فاطمة غداة ببرمة قد صنعت فيها عصيدة تحملها في طبق حتى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمك؟

قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه فأتيني بابنيه، وجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما بيد، وعلي يمشي في أثرها، حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره وجلس علي عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره.

قالت أم سلمة: فاجتذب من تحتي كساء خيرياً كان بساطاً لنا على المثابة في المدينة، فلفه رسول الله ﷺ وأخذ بطرفي الكساء، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قلت: يا رسول الله، أأنت من أهلك؟

قال: بلى.. فأدخلني في الكساء بعد ما قضى دعاؤه لابن عمه علي وابنته فاطمة وابنيها عليهما^(١).

فكان أصحاب الكساء عليهما عصمة الخلق عند الشدائد، وكانوا العزاء والسلوة للناس، ولما مضى النبي ﷺ بقي علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما فكانوا العزاء والسلوة للناس، ولما مضت فاطمة عليهما كان في علي والحسن والحسين عليهما العزاء والسلوة للناس، ولما مضى علي عليهما كان في الحسن والحسين عليهما العزاء والسلوة للناس، ولما مضى الحسن عليهما كان في الحسين العزاء والسلوة للناس،

(١) راجع بحار الأنوار (٢٢٢/٣٥).

ويقتل الحسين عليه السلام لم يبق من أصحاب الكساء أحد فيه عزاء وسلوة للناس ، وكان ذهابه كذهاب الجميع ، فصار يومه أعظم الأيام مصيبة.

ثالثاً: خصوصية التلقي المباشر من النبي ﷺ :

ثم شرع الإمام عليه السلام في بيان فضيلة أخرى اختص بها الإمام الحسين عليه السلام على الأئمة من ولده عليه السلام كانت وراء تعظيم مصيبتة ، وهي اختصاصه بقاء النبي ﷺ والتلقي عنه والأخذ منه ، فإنها فضيلة في حد ذاتها توجب له مقاماً خاصاً يميزه على الحجج من بنيه عليهم السلام !!

وطبيعي أن يطرق ذهن القارئ الكريم هذا التساؤل - الذي طرق ذهن الراوي أيضاً - عند تعليل عظم مصيبتة بكونه خامس أصحاب الكساء عليهم السلام ، فلماذا لم يكن الإمام علي بن الحسين عليه السلام العزاء والسلوة للناس كما كان أبوه وعمه وأمه وجداه عليهم السلام ؟

فإننا نقول محاكاةً لجواب الإمام عليه السلام محاولين فقه كلامه الشريف : أن الإمام السجاد عليه السلام هو الإمام والحجة بعد آباءه عليهم السلام ، إلا أن آباءه يفضلونه وأبناءه عليهم السلام بكونهم قد لقوا النبي ﷺ وسمعوا منه ولم يكن له ذلك ، ومع أن ذلك لا يضر بعلمه وفضله وشرف محله ، إلا أن ذلك خصوصية لآباءه عليهم السلام .

وقد شاهد الناس قريتهم من رسول الله ﷺ وتوالت الآيات في شأنهم خصوصاً ، وعززت الآيات مقامهم وخاصيتهم لديه ﷺ ، وهذه أحاديث فضائلهم ومناقبهم وأحوالهم قد جاوزت أحاديث العبادات ، فهم الأصل لمن يأتي بعدهم من الحجج ، والأئمة لمن يتلوهم ، وهم الواسطة في العلم ، وقد سمعوا رثة الوحي ونزل جبرئيل على رسول الله ﷺ بمحضرهم ، وعاصروا الوحي بأسباب

نزوله ، وقد شهد النَّاس ذلك ، ولهم خصوصية السَّبْق والمباشرة عنه ﷺ .
 وإذا أردنا أن نؤكد هذا المطلب فإنَّ لأمير المؤمنين ﷺ كلام قد يكون
 كاشفاً عن فضيلة أصحاب الكساء عليهم السلام خاصة ، على أننا نقرُّ بكونه ﷺ
 أفضل الخلق بعد النبي ﷺ ، فهو يقول : أنا الإمام لمن بعدي ، والمؤدِّي عمَّن
 كان قبلي ، ولا يتقدمني أحدٌ إلاَّ أحمد ﷺ ، وإنِّي وإياه لعلَى سبيل واحد ، إلاَّ
 أنه هو المدعو باسمه^(١) .

ومكمن علومه وعلومهم عليهم السلام القرآن الكريم ، فقد اختصَّ كما اختصَّوا
 بالتلقِّي المباشر منه ﷺ ، وفاقوا النَّاس في سبر أغوار القرآن وفقه أسرارهِ ومعانيهِ ،
 وقد روي في الخصال بالإسناد إلى سليم بن قيس الهلالي أنَّ أمير المؤمنين ﷺ قال :
 وكنت إذا سألته أجنبي ، وإذا سكتَّ عنه وفيتَّ مسألتي ابتدأني ، فما نزلت على
 رسول الله ﷺ آية من القرآن إلاَّ أقرَّنيها وأملاها عليّ ، فكتبتُها بخطي وعلمني
 تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصَّها وعامَّها ،
 ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه
 عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما دعاه .

وما ترك شيئاً علَّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهْي ، كان أو يكون ،
 ولا كتاب منزل على أحد قبله في أمر بطاعة أو نهْي عن معصية إلاَّ علَّمنيه
 وحفظنيه ، فلم أنس حرفاً واحداً ، ثم وضع ﷺ يده على صدري ودعا الله لي
 أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي إنِّي
 منذ دعوت الله عزَّ وجل لي بما دعوت لم أنس شيئاً ، ولم يفتني شيء لم أكتبه ،

(١) بحار الأنوار (٣٥٤/٢٥) عن البصائر.

أَفْتَتَخَوْفَ عَلِيٍّ النَّسِيانَ فِيمَا بَعْدَ ، فَقَالَ : لَا ، لَسْتُ أَخَافُ عَلَيْكَ النَّسِيانَ ، وَلَا الْجَهْلَ^(١) .

ورُوي في مصادر كثيرة قوله ﷺ : إن رسول الله ﷺ علّمني ألف باب من الحلال والحرام ومما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، كل باب منها يفتح ألف باب ، حتى علّمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب^(٢) .

وكما أنّ الناس يعرفون هذه الصّلة المباشرة من أصحاب الكساء ﷺ بالنبي ﷺ ومعين الوحي ، فإنهم يشهدون أنّ الأئمة من ولد الحسين ﷺ يروون حديث النبي ﷺ بواسطة أصحاب الكساء ﷺ ، كما في الخبر المتواتر المشهور المروي في عيون أخبار الرضا ﷺ المعروف بحديث سلسلة الذهب ، وفيه : لما وافى أبو الحسن الرضا ﷺ نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له : يا ابن رسول الله ، ترحل عنا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيده منك ، وكان قد قعد في العمارية ، فأطلع رأسه وقال : سمعت أبي موسى بن جعفر يقول : سمعت أبي جعفر بن محمد يقول : سمعت أبي محمد بن علي يقول : سمعت أبي علي بن الحسين يقول : سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب يقول : سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمعت جبرئيل يقول : سمعت الله جل جلاله يقول : لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حصني أمن عذابي ، قال : فلمّا مرت

(١) راجع بحار الأنوار (٢/٢٣٠).

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٢/٤٦١).

الراحلة نادانا: بشروطها وأنا من شروطها^(١).

وكذا الحال في سائر أخبارهم المروية عن رسول الله ﷺ، وإذا رووا عنه مباشرة فإنهم يعنون هذا الإسناد الشريف الذي إذا تلي على الصم والبكم والعمي لبرؤوا بإذن الله تعالى، وربما روى أحدهم الخبر بغير هذا الإسناد أيضاً لغرض في نفسه، ونجد في الكتب رواية الإمام أبي جعفر عليه السلام الخبر عن بعض صحابة النبي ﷺ الذين عاصروهم، كما في رواية الإختصاص بالإسناد إلى محمد بن مسلم أن أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سألت رسول الله ﷺ عن سلمان الفارسي فقال ﷺ: سلمان بحر العلم لا يقدر على نزحه، سلمان مخصص بالعلم الأول والآخر، أبغض الله من أبغض سلمان، وأحب من أحبه. إلى آخر الخبر^(٢).

وإن سلمنا أنه عليه السلام إنما كان مستغنياً عن هذا السند بواسطته المعهودة بالنقل إلا أنه ربما كان يرمي إلى غرض معين حين يروي عن جابر رضي الله عنه وأمثاله، كما أنه عليه السلام يستغني بعلمه الخاص عن أي إسناد أصلاً، إلا أنه ليس كل الناس يفقهون ذلك، فيضطر إلى تويج حديثه بهذا الإسناد لحاجة في نفسه، وبالتالي فإنه يتفوق أصحاب الكساء عليهم السلام على سائر الحجج عليهم السلام بالتلقي المباشر عن النبي ﷺ ومعاصرة الوحي والتنزيل بشهادة الناس جميعاً، وقد درج الحسنان عليهما السلام وترعرعا في أحضان جدّهما ﷺ وعاصرا الوحي بكل تفاصيله.

وروى أبو السعادات في الفضائل أن الحسن بن علي عليه السلام كان يحضر مجلس

(١) راجع بحار الأنوار (٧/٣).

(٢) بحار الأنوار (٣٤٨/٢٢).

رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه ، فلما دخل علي ﷺ وجد عندها علماً فيسألها عن ذلك ، فقالت : من ولدك الحسن ، فتخفي يوماً في الدار وقد دخل الحسن ، وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها ، فارتج عليه ، فعجبت أمه من ذلك ، فقال : لا تعجبين يا أمّاه ، فإن كبيراً يسمعي واستماعه قد أوقفني ، فخرج علي فقبله .

وفي رواية : يا أمّاه ، قلّ بياني ، وكلّ لساني ، لعلّ سيداً يرعاني^(١) .

وأؤكد هنا أنّ للأئمة عليهم السلام من ولد الحسين عليهم السلام علم مستقل ، وقد دلّت الأخبار الصحيحة على أنّ علمهم غابر ومزبور ونقر في القلوب ونكت في الأسماع ، وأنهم ملهمون محدثون ومطلعون على الغيب إلا أنّ أصحاب الكساء عليهم السلام يفضّلونهم ، فهم الأصل والواسطة لمن بعدهم ، وقد شهد الناس قريتهم ومنزلتهم من النبي ﷺ واختصاصهم بالقرآن والتنزيل .

ولا يتوهم أنّ هذه الخصوصية مطّردة في كلّ من باشر الأخذ عن النبي ﷺ أو أنّها سيّالة على سائر الصحابة ، فإنّ أصحاب الكساء عليهم السلام حجج الله تعالى ولا يُقاس بهم أحد ، وقد دلّت النصوص المتقدمة على ذلك ، وقد بيّنا ما يتكفّل بدفع هذا التوهم بأقل تأمل مما يغني عن الإطالة .

ولذلك فقد أتى كلام الإمام عليهم السلام مؤكداً هذا المبدأ ، فهو يقول : " إن علي بن الحسين كان سيّد العابدين وإماماً وحجّة على الخلق بعد آباءه الماضين ، ولكنه لم يلق رسول الله ﷺ ولم يسمع منه ، وكان علمه وراثته عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ ، وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع

(١) راجع المناقب (٤/٨) ، بحار الأنوار (٣٣٨/٤٣) .

رسول الله ﷺ في أحوال تتوالى ، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ له وفيه ، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل ، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم ، إلا في فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى في آخرهم ، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة .

ولما أن وقع المحذور بقتل سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء عليه السلام وهتك حرمة حجة الله على العالمين ، فقد بالغ قاتلوه بالإستهزاء بآيات الله تعالى ، فداسوا جسده الشريف بحوافر خيولهم ، واحتزوا رأسه المقدس ، ورفعوه على عالي السنان ..

فانطلقت حنجرته بقراءة القرآن الكريم ، ليؤكد صلته المباشرة بالنبى ﷺ والوحي ، بعد أن تنحج ليلفت الإنتباه كاملاً إلى مراميه السامية .

وروى أبو مخنف عن الشعبي أنه صلب رأس الحسين عليه السلام بالصيارف في الكوفة ، فتنحج الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ فلم يزداهم ذلك إلا ضلالاً .

وفي أثر : أنهم لما صلبوا رأسه على الشجر سُمع منه : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ..

وسُمع أيضاً صوته بدمشق يقول : ﴿ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ ، وسُمع أيضاً يقرأ : ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ فقال زيد بن أرقم : أمرك أعجب يا ابن رسول الله !^(١)

(١) راجع بحار الأنوار (٣٠٤/٤٥) .

الإمام الثالث بالنص

إنّ من لوازم البحث في حديث الكساء البحث في الإمامة الربّانية الثابتة للإمام الحسين عليه السلام بنصّ جلي، وكم كان عليه السلام يسعى لتأكيد ريادة أهل بيته عليه السلام وقيادتهم، وقد افترض الله المودّة لهم عليه السلام لتأصيل قاعدة إمامتهم عليه السلام، فنصّ عليهم نصّاً صحيحاً لا يقبل الشك، وقد روت الصّحاح أحاديثاً عامّة يستحيل تطبيقها على غير أهل البيت عليه السلام، وهي آية سوى هذا المصداق.

ففي صحيح البخاري بإسنادٍ إلى جابر بن سمرة أنه سمع من النبي عليه السلام يقول: يكون بعدي إثنا عشر أميراً^(١).

(١) راجع لهذا الحديث صحيح البخاري ج (٦) كتاب الأحكام ح (٦٧٩٦)، وتاريخ بغداد (١٤/٣٥٣ ح ٧٦٧٣)، وكنز العمال (٦/١٦٠) مع إختلاف أمير وخليفة، الصواعق المحرقة باب (١١١) فصل (٢)، والبداية والنهاية (١/١٥٣) بنص: يكون إثنا عشر أميراً كلهم من قريش، والكامل لابن عدي (٢/٧٩٤).

وقد فاجأني بل أدهشني حذف هذه الأحاديث وأمثالها من بعض النسخ المطبوعة حديثاً على أيدي بعض المحققين، وكأنهم يوارون بالحذف والتغيير الحقيقة الساطعة المؤدية إلى إمامتهم عليه السلام بنص عن خاتم المرسلين عليه السلام، علماً أنّ تحقيق أيّ كتاب يعني توثيق نصّه وضبطه ليصل إلينا سليماً كما خطّه ووضع صاحبه، بكلّ أمانة ودقّة ونزاهة، إلاّ أنّه قد طالت يد العبث العاتية الكثير من المصادر الحديثية المهمة، كصحيح البخاري الذي يعدّه أهل السنّة والجماعة ثاني الوحيين، وقد قال البعض: أنّه أصبح كتاب بعد القرآن!! وقد اقتصر الحذف والتغيير - كما رأيت - في أبواب الخلاف والمناقب، مثل طبعة دار الأرقم (١٤٠٧ هـ) لصحيح البخاري بتحقيق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، وهو رئيس دائرة الشؤون الدينية في دار الفتوى اللبنانية!!

وفي مصباح البغوي عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش^(١).

وقد حدّ النبي ﷺ الإمامة بحدّ لا ينسجم إلّا مع القول بإمامة أهل البيت عليهم السلام على مذهب التشيع، وكم تحبّط شراح هذا الحديث من العامّة وأخذت بهم المذاهب عند تفسيره، ومن يمكن أن يكون الأئمة من قريش سوى أبناء الرسول ﷺ؟!!

قال ابن حجر العسقلاني: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه، لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة: كلهم يجتمع عليه الناس، وإيضاح ذلك أن المراد بالإجماع انقيادهم لبيعتهم، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكّمين في صفين، فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر، بل قُتل قبل ذلك، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وتحلل بين سليمان ويزيد: عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع الناس

→

وهكذا امتدت هذه الأيدي ذاتها للعبث ببعض كتب الحديث المهمة، حتّى صارت الطبقات القديمة نادرة جداً، وباتت تباع بأغلى الأثمان لسلامتها، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) راجع مصباح السنة للبغوي (٤/١٣٧) كتاب المناقب ح (٤٦٨٠)، وهو حديث متفق عليه، أخرجه البخاري أيضاً في الصحيح في كتاب الأحكام ح (٧٢٢٢)، ومسلم في الصحيح (٣/١٤٥٣) في كتاب الإمارة باب الناس تبع لقريش.

عليه لما مات عمّه هشام، فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك^(١).

وكلام ابن حجر هذا متهافت يدفعه أدنى نظر، وعليه ردود لا يسعها هذا المقام، فهو يتناقض مع ما صحّ عندهم من حديث سفينة عن النبي ﷺ أنه قال: الخلافة ثلاثون سنة، ثم تكون بعد ذلك ملكاً^(٢).

ولقد صرّحوا بناءً على صحّة هذا الحديث بانحصار الخلافة في أربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام، وأضاف بعضهم عمر بن عبد العزيز، والحديث واضح في الدلالة، يدل على أن ما بعد الثلاثين لا تكون خلافة أصلاً، بل هو الملك، وهو حديث ملزم لهم على كل التقادير.

فإن صحّ هذا الحديث فخلافة النبوة لا يراد بها إلا الخلافة بالنص، فخليفة

(١) راجع كشف المشكل (٤٤٩/١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢١١ ح ٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي في سننه (٤/٥٠٣) وقال: هذا حديث حسن، وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٤٨/٩)، والحاكم في المستدرک (٣/٧١، ١٤٥)، وأحمد في المسند (٥/٢٢٠، ٢٢١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٤٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/٨٧٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٧٤٢ ح ٤٥٩)، ونقل تصحيحه عن الحاكم والذهبي وابن حبان وابن حجر وابن جرير الطبري وابن تيمية، ونقل عنه اعتماد الإمام أحمد عليه، وأنه متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة. ورد الألباني على من ضعف الحديث كابن خلدون في تاريخه، وأبي بكر بن العربي في العواصم من القواصم، ثم قال: فقد تبين بوضوح سلامة الحديث من علة قاذحة في سنده، وأنه صحيح محتج به.

النبي ﷺ هو المستخلف من قبله، ومن استخلفه الناس كان خليفتهم، وقد دلت أحاديث قطعية الدلالة على أنه ﷺ نصّ على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واستخلفه، فيكون معنى حديث سفينة: إن خلافة علي عليه السلام تستمر إلى ثلاثين سنة، ثم يتولى الملوك أمور المسلمين، ولا يضرّ بإمامته تقدّم غيره بعد النصّ عليه.. وحديث الخلفاء الإثني عشر بيان لعدد الأئمة الخلفاء بالنصّ، المنصوبين من الله سبحانه، الذين يكون الإسلام بهم عزيزاً، ولا منافاة بين الحديثين.

ثم أنّ أكثر من ذكرهم ابن حجر لم يجتمع عليه الناس، فقد اجتمع الناس على عثمان إلاّ أنّه وثب عليه الناس حتّى قُتل، ولم يجتمع الناس على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أول يوم في خلافته، فأهل الشام لم يبايعوه، وحاربه طلحة والزبير وعائشة والخوارج، حتّى قال ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية: علي عليه السلام لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك^(١).

فيخرج أمير المؤمنين عليه السلام على قولهم من بين الخلفاء!! ويدخل فيهم يزيد بن معاوية الذي لم يبايعه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام وأهل المدينة، وأخرج أهل المدينة منها عامله وسائر بني أمية، ف وقعت بينهم وبينه وقعة الحرة، وخرج عليه ابن الزبير في مكة، حتّى ظفر به الأمويون في قصّة مشهورة، فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك أنّ الناس اجتمعوا عليه!!

والحقّ أن الناس لم يجتمعوا على معاوية وسائر ملوك بني أمية، لأنّ الأئمة

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص (٤٧٣).

كانت مقهورة مغلوبةً على أمرها، وهذا واضحٌ لمن نظر في تأريخهم، وروي عن سعيد بن سويد، قال: صلى بنا معاوية بالبخيلة - يعني خارج الكوفة - الجمعة في الضحى، ثم خطبنا فقال: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، قد عرفت أنكم تفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون^(١).

أما أقوال علمائهم في تعيين الخلفاء الإثني عشر وتسميتهم تضحك التكلية، وقد أعرضت عنها حذر الإطناب، وهي تدعو إلى التعجب!! إذ ما يمنع الأمة أن تدين الله بإمامة أهل البيت عليهم السلام الذين بشر بهم النبي صلى الله عليه وآله بعد أن نصت الأحاديث على عددهم ووصفهم، ما طابق عدد وصفة أئمة أهل البيت عليهم السلام من دون ضم أحد أو إسقاط أحد، فالإسلام لا يكون عزيزاً منيعاً إلا بإمامتهم عليهم السلام وقد أجمعت الأمة على فضلهم وورعهم وتقواهم وعلمهم، وقد حثت النصوص الصحيحة على اتباعهم والإقتداء بهم، وتعتبر هذه النصوص مبينة للمراد من خلفاء النبي صلى الله عليه وآله.

وقد أقر الكل بأهلية الإمام أمير المؤمنين وأبناءه عليهم السلام للإمامة والخلافة.. فلو تقصينا أقوال مؤرخ معتمد واحد في الشهادة لهم بذلك لظفرنا بما يفحم الخصم العنيد ويدعم المطلب.

قال الذهبي: فمولانا الإمام علي من الخلفاء الراشدين المشهود لهم بالجنة نُجبه وتولاه.. وأبناء الحسن والحسين فسبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدا شباب أهل

(١) راجع البداية والنهاية (١٣٤/٨).

الجنة ، لو استُخلفا لكانا أهلاً لذلك^(١).

وقال في ترجمة الإمام محمد بن علي عليه السلام : وكان أحد من جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة ، وكان أهلاً للخلافة^(٢).

وقال في الإمام جعفر بن محمد عليه السلام : مناقب جعفر كثيرة ، وكان يصلح للخلافة ، لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه خبره عنه^(٣).

وقال في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : كبير القدر ، جيد العلم ، أولى بالخلافة من هارون^(٤).

وقال في الإمام علي بن موسى عليه السلام : وقد كان علي الرضا كبير الشأن ، أهلاً للخلافة^(٥).

فقد أجمعت الأمة على علو مقامهم وأهليتهم للخلافة من غير أدنى شك ، حتى أنّ ابن تيمية لم يسعه أن يجحد أهليتهم للإمامة ولم ينكر فضلهم ، فقد قال في رده على القائلين بإمامتهم عليهم السلام دون غيرهم لامتيازهم بالفضائل على

(١) راجع سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٣).

وقال في الإمام علي بن الحسين عليه السلام : وكان له جلالة عجيبة ، وحق له والله ذلك ، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألّفه وكمال عقله ؛ راجع سير أعلام النبلاء (٣٩٨/٤) ، وذكر أهليته للخلافة أيضاً في (١٢٠/١٣).

(٢) راجع سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٤) ، وكذلك في (١٢٠/١٣).

(٣) تاريخ الاسلام ، حوادث ووفيات سنة (١٤١ - ١٦٠) هـ ص (٩٣) ، سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١٢٠/١٣).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٩).

غيرهم : إن تلك الفضائل غايتها أن يكون صاحبها أهلاً أن تُعقد له الإمامة ، لكنه لا يصير إماماً بمجرد كونه أهلاً ، كما أنه لا يصير الرجل قاضياً بمجرد كونه أهلاً لذلك.. ثم قال : إن أهلية الإمامة ثابتة لآخرين كثبوتها لهؤلاء ، وهم أهل أن يتولوا الإمامة ، فلا موجب للتخصيص ، ولم يصيروا بذلك أئمة^(١) .

إلا أن قياس الإمام عليه السلام بالقاضي قياس مع الفارق ، فما قول ابن تيمية في قاضٍ قد نصبه النبي عليه السلام على الأمة ، فهل يضر جحود الناس بكونه قاضياً ! فإن كان الجواب سلباً وهو كذلك فإن جحود الناس لا يضر بإمامة أهل البيت عليهم السلام بعد نص النبي عليه السلام على خلافتهم ، هذا.. وإن لتخصيصهم موجب قطعاً ، بالنصوص الصحيحة التي أمرت بالتمسك بهم دون غيرهم.

وكيف كان.. فإن في كتبنا المعتمدة نصوصٌ كفيلة بتأسيس هذا الأصل بما يوضح مداليل هذا الحديث حتماً ، والنص كاشف عن الإختيار الرباني الذي يلزم منه عصمة المنصوص عليهم ، وبما أن العصمة ملكة نفسانية لا يعلم تحققها إلا عالم الغيب اقتضت حكمته الجعل والإختيار ، والسبيل لمعرفة المختار هو النص .

ففي كفاية الأثر بإسناد يرفعه إلى حذيفة بن اليمان أنه قال : صلى بنا رسول الله عليه السلام ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال : معاشر أصحابي ، أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته ، فمن عمل بها فاز وغنم ، ومن أنجح وتركها حلت به الندامة ، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة.

فكأنني أدعى فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ،

(١) راجع منهاج السنة النبوية (٤/٢١٣).

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين،
ومن تخلف عنهم كان من الهالكين.

فقلت: يا رسول الله، على من تخلفنا؟

قال: على من خلف موسى بن عمران قومه؟

قلت: على وصيه يوشع بن نون.

قال: فإن وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام قائد البررة

وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله.

قلت: يا رسول الله، فكم يكون الأئمة من بعدك؟

قال: عدد نقيب بني إسرائيل، تسعة من صلب الحسين عليه السلام أعطاهم الله

علمي وفهمي، خزان علم الله ومعادن وحيه.

قلت: يا رسول الله فما لأولاد الحسن؟

قال: إن الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسين، وذلك قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾.

قلت: أ فلا تسميهم لي يا رسول الله؟

قال: نعم، إنه لما عرج بي إلى السماء ونظرت إلى ساق العرش فرأيت مكتوبا

بالنور لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده بعلي ونصرته به، ورأيت أنوار الحسن

والحسين وفاطمة، ورأيت في ثلاثة مواضع علياً علياً علياً ومحمداً ومحمداً

وموسى وجعفرأ والحسن والحجة يتلألاً من بينهم كأنه كوكب دري.

فقلت: يا رب من هؤلاء الذين قرنت أسماءهم بإسمك؟

قال: يا محمد إنهم هم الأوصياء والأئمة بعدك، خلقتهم من طينتك،

فتطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم ، فبهم أنزل الغيث ، وبهم أثيب وأعاقب .
ثم رفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعتة فيما يقول :
اللهم اجعل العلم والفقہ في عقبی ، وعقب عقبی ، وفي زرعی وزرع زرعی^(١) .
وفي الإرشاد وكفاية الأثر بالإسناد إلى حذيفة بن أسيد أنه سمع النبي ﷺ يقول وهو على منبره : يا أيها الناس ، إني فرطكم وأنتم واردون عليّ الحوض ،
ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإن اللطيف الخبير
نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقىاني ، وسألت ربي ذلك فأعطانيه .

ألا وإني قد تركتهما فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تسبقوهم
فتفرقوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم .
أيها الناس ، لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ،
فتلقوني في كتيبة كمجراً السيل الجرّار ، ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي ،
يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله^(٢) .

وروى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناد إلى سلمان الفارسي رحمه الله عنه قال : خطبنا
رسول الله ﷺ فقال : معاشر الناس ، إني راحلٌ عن قريب ، ومنطلق إلى
المغيب ، أوصيكم في عترتي خيراً ، وإياكم والبدع ، فإن كل بدعة ضلالة ،
والضلالة وأهلها في النار .

(١) راجع كفاية الأثر ص (١٣٦) ، عنه بحار الأنوار (٣٦/٣٣١ ح ١٩١) ، وإثبات الهداة

(٢/٥٣٥ ح ٥٣٤) ، والعوالم ج (٣/١٥) ص (١٨٠) ح (١٥٤) .

(٢) راجع كفاية الأثر ص (١٢٧) ، عنه بحار الأنوار (٣٦/٣٢٨ ح ١٨٥) ، والعوالم ج (٣/١٥)

ص (١٧٧) ح (١٤٨) ، وروى بعضه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٥٥/١) .

معاشر الناس ، من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر ، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين ، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة بعدي ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال : فلما نزل عن المنبر تبعته حتى دخل بيت عائشة ، فدخلت إليه وقلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، سمعتك تقول : إذا افتقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر ، وإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين ، وإذا افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة ، فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة ؟

فقال : أنا الشمس ، وعلي القمر ، والحسن والحسين الفرقدان ، فإذا إفتقدتموني فتمسكوا بعلي بعدي ، وإذا افتقدتموه فتمسكوا بالحسن والحسين ، وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين تاسعهم مهديهم.

ثم قال عليه السلام : إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي ، أئمة أبرار ، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى.

قلت : فسمّهم لي يا رسول الله.

قال : أولهم علي بن أبي طالب ، وبعده سبطاي ، وبعدهما علي زين العابدين ، وبعده محمد بن علي الباقر علم النبيين ، والصادق جعفر بن محمد ، وإبنة الكاظم سمي موسى بن عمران ، والذي يقتل بأرض الغربية إبنة علي ، ثم إبنة محمد ، والصادقان علي والحسن ، والحجة القائم المنتظر في غيبته ، فإنهم عترتي ، من دمي ولحمي ، علمهم علمي وحكمهم حكمي ، من

آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي^(١).

وفي الصحيحة التي رواها الكليني عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي وهو متكيء على يد سلمان فدخل المسجد الحرام فجلس، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس فسلم على أمير المؤمنين، فرد عليه السلام فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل إن أخبرتني بهن علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما قضى عليهم وأن ليسوا بمؤمنين في دنياهم وآخرتهم، وإن تكن الأخرى علمت أنك وهم شرع سواء!! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عما بدا لك.

قال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟ فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحسن فقال: يا أبا محمد أجبه.

قال: فأجابه الحسن، فقال الرجل: أشهد أن لا إله إلا الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أن محمداً رسول الله ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصي رسول الله والقائم بحجته - أشار إلى أمير المؤمنين - ولم أزل أشهد بها، وأشهد أنك وصيه والقائم بحجته - أشار إلى الحسن - وأشهد أن الحسين بن علي وصي أخيه والقائم بحجته بعده، وأشهد على علي بن الحسين أنه القائم بأمر الحسين بعده،

(١) راجع معاني الأخبار ص (١١٤)، وكفاية الأثر ص (٤٠)، وبحار الأنوار (٢٨٩/٣٦) ح (١١١)، وإثبات الهداة (٥١٤/٢ ح ٤٨٧)، والعوالم ج (٣/١٥) ص (١٤٤) ح (٨٣)، والمنتخب ص (٢٤٤).

وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن الحسين ، وأشهد على جعفر بن محمد أنه القائم بأمر محمد ، وأشهد على موسى أنه القائم بأمر جعفر بن محمد ، وأشهد على علي بن موسى أنه القائم بأمر موسى بن جعفر ، وأشهد على محمد بن علي أنه القائم بأمر علي بن موسى ، وأشهد على علي بن محمد أنه القائم بأمر محمد بن علي ، وأشهد على الحسن بن علي أنه القائم بأمر علي بن محمد ، وأشهد على رجل من ولد الحسن لا يكتى ولا يسمى حتى يظهر أمره فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ثم قام فمضى .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا محمد اتبعه فانظر أين يقصد ؟
فخرج الحسين بن علي عليه السلام فقال : ما كان إلا أن وضع رجله خارجاً من المسجد فما دريت أين أخذ من أرض الله ، فرجعت إلى أمير المؤمنين فأعلمته ، فقال : يا أبا محمد أتعرفه ؟

قلت : الله ورسوله وأمر المؤمنين أعلم .
قال هو الخضر^(١) .

وربما يتساءل البعض بعد مواجهة تلك النصوص الواضحة في النصّ عليهم عليهم السلام عن سبب خلوّ القرآن من النصّ على أسمائهم الشريفة !! إذ كان ينبغي ذكر اسم أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام ليرتفع الشك بصورة قاطعة فلا يضل الناس !! وهو سؤال مشروع ، إلا أنّ القرآن الكريم قد نزل بأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج من غير بيان تفصيل الأحكام فيها ، وقد كانت الإمامة من هذا

(١) راجع الكافي (١/٥٢٥) .

القبيل ، فقد أوكل تعيين أسمائهم إلى النبي ﷺ كما فصل سائر الأحكام ، وقد سُئل الأئمة عليهم السلام عن هذا السؤال وأجابوا بمثل ذلك.

وفي الخبر الصحيح الذي رواه الشيخ الكليني رحمه الله عن علي ابن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس ، وعلي بن محمد بن سهل بن زياد أبي سعيد عن محمد بن عيسى عن يونس ، عن ابن مسكان عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله الله عز وجل ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ فقال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام .

فقلت : إن الناس يقولون فما باله لم يسمّ علياً وأهل بيته في كتاب الله

عز وجل ؟

فقال : قولوا لهم : إن رسول الله ﷺ نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً ، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك ونزلت الزكاة ولم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً درهم ، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر لهم ذلك ، ونزل الحج فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر لهم ذلك ، ونزلت ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ونزلت في علي والحسن والحسين ، فقال رسول الله في علي : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فقال ﷺ : أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فأعطاني ذلك ، وقال : لا تعلموهم فهم أعلم منكم ، وقال : إنهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم باب ضلالة .

فلو سكت رسول الله فلم يبين من أهل بيته لادعاهآ آل فلان وآل فلان ، لكن

الله أنزل في كتابه تصديقاً لنبيه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

وَيُطَهِّرْكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ فكان علي والحسن والحسين وفاطمة، فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إن كل نبي أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهلي وثقلي.

فقالت أم سلمة: أأنت من أهلك؟

قال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي، فلما قبض رسول الله ﷺ كان علي أولى الناس بالناس، لكثرة ما بلغ فيه رسول الله ﷺ وإقامته للناس وأخذه بيده، فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي - ولم يكن ليفعل - أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ولا واحداً من ولده، إذن لقال الحسن والحسين: إن الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك فأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك، وبلغ فينا رسول الله كما بلغ فيك، وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك.

فلما مضى علي، كان الحسن أولى بها لكبره، فلما تُوفِّي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك، والله عز وجل يقول: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيجعلها في ولده، إذن لقال الحسين: أمر الله بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك، وبلغ في رسول الله كما بلغ فيك وفي أبيك، وأذهب الله عني الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك، فلما صارت إلى الحسين لم يكن أحد من أهل بيته يستطيع أن يدعي عليه كما كان هو يدعي على أخيه وعلى أبيه، لو أراد أن يصرف الأمر عنه، ولم يكونا ليفعلاه، ثم صارت حين أفضت إلى الحسين فجرى تأويل هذه الآية: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين، ثم

صارت من بعد علي بن الحسين إلى محمد بن علي ، ثم قال : الرجس هو الشك ، والله لا نشك في ربنا أبداً^(١).

وفي الصحيح الذي رواه الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد ابن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني وعمر بن أذينة عن أبان عن سليم بن قيس قال : شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن وأشهد على وصيته الحسين ومحمداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته ، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح ، وقال لابنه الحسن : يا بني ، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصي إليك ، وأن أدفع إليك كتبه وسلاحه ، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين ، ثم أقبل على ابنه الحسين فقال : وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك هذا.

ثم أخذ بيد علي بن الحسين وقال : وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقرأه من رسول الله ومني السلام^(٢).

وقد علم أهل البيت عليهم السلام شيعتهم على تلقين النفس بأسمائهم الشريفة في سجدة الشكر عقب كل صلاة ، حيث يُشهد المصلي ربه بمجمل اعتقاداته التي ينبغي أن يلقاه بها ، ليؤكد على توليهم عليهم السلام والتبري من أعدائهم ، وفي ذكرهم كمال الصلاة والعبادات.

ففي الصحيحة التي رواها الصدوق بإسناده عن عبد الله بن جندب عن

(١) راجع الكافي (١/٢٨٦).

(٢) راجع الكافي (١/٢٩٧).

موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي والإسلام ومحمداً نبياً وعلياً والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن أئمتي بهم أتولى ومن أعدائهم أتبرأ^(١).

ونص عليه السلام على الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام نصّاً خاصّاً في أكثر من موطن، وقد نقل المسلمون كافةً واتفقت كلمتهم على رواية قول النبي صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وقد روي في الروضة بإسناد إلى طارق بن شهاب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن والحسين: أنتما إمامان بعقبتي، وسيّدا شباب أهل الجنة، والمعصومان حفظكما الله، ولعنة الله على من عاداكما^(٢).

وهذه النصوص الشريفة تعزّز مكانة الإمام الحسين عليه السلام وتؤكد على مقامه الشامخ، فهو إمام بالنص الجلي، وحبّة من الله تعالى على عباده، قد نصبه ليكون لهم هادياً من الظلال، وعصمة من العذاب، فهو الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمة عليهم السلام، والنسخة اليتيمة المفردة التي لن تتكرّر في تاريخ الدنيا، وقد انتهك الإنسان الظلوم الجهول حرمة وتعدّي عليه وظلمه رغم منزلته المعروفة، وبالتالي فإنّ منزلته الكبرى تعدّ من أهم دواعي خلود الحزن عليه، إلى درجة تعدّي الحزن إلى البكاء والنوح وتجديد المأتم.

(١) راجع وسائل الشيعة (١٥/٧).

(٢) راجع بحار الأنوار (٢٦٥/٤٣).

حتّى أنّ الأئمة عليهم السلام قد ندبوا إلى الجزع عليه، والجزع هو ما خالف الصّبر، ويدخل في باب الجزع ومفهومه كثير من الشّعائر الحسينيّة المتداولة اليوم، والتي ستقف عليها في بحوث هذا الكتاب، بعد التدليل على أهميّة الحادثة وتأثيرها في الكون والمكوّنات، وذكر أصدائها السّابقة عليها في عالم الأنبياء عليهم السلام والأمم السّابقة، وكذلك ذكر أصدائها اللاحقة.

